رجاء جارودى

الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية



الناشر
دار الغد العربى
٣ ش ـ دانش ـ العباسية
ت: ٢٨٥٦١٢٢ ـ ٢٩٧٣٨٧٠ ـ القاهرة

دار الغد العربى

كتاب الغد ـ ١

رجاء جارودى

الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية

ترجمه عن الفرنسية
قسم الترجمة ـ بدار الغد العربى

الطبعة الأولى

١٩٩٦

الناشر
دار الغد العربى
٣ ش ـ دانش ـ العباسية
ت: ٢٨٥٦١٢٢ ـ ٢٩٧٣٨٧٠ ـ القاهرة

كتاب الغـــد

سلسلة غير دورية تهتم بالقضايا
الاجتماعية والثقافية والسياسية
التى تهم القارئ العـــربى ..

المشرف العام على السلسلة

حمـــدان جعفـــر

الغلاف بريشة : مدحت عبد السميع

العنوان الأصلى للكتاب

Roger Garaudy

Les Mythes fondateurs de la politique israélienne

SAMISZDAT
Roger Garaudy
1996

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الناشـــر

لقد كان روجيه جارودى، المفكـر الفرنسى المعروف، والذى اعتنق الإسـلام منـذ عشـر سنوات وتسمى بـاسم رجـاء جـارودى، من كبـار رجـالات الحزب الشيـوعى الفرنسى حيـث كان عضـوا بارزا فى لجنتـه المركـزية. ونـاضل منذ شبـابه فـى صفوف هذا الحـزب، وله فـى هذا المضمار كتاباتـه ومؤلفاته العديدة. ولكنـه ما إن اهتدى إلى الإسلام، وذاق حـلاوتـه عن علم ومعـرفـة، حتى انبـرى يكتب عن هـذا الـدين الحنيف ويدافع عنـه وعن تعاليمه فى ديار الغرْب، ولـه فى ذلك أيضا صولاته وجولاته التى مازالت تثير الجدل والنقاش.

ومن عجائب المفـارقات، بل ومن محـاسن الصُّدف أن يقيض الله للعـرب وللفلسطينيين خاصـة من يـدافع عن حقـوقهم التاريخيـة ومن ينادى بـالعدالـة ورفع الظلم عنهم. فقـد كرّس رجـاء جارودى حيـاته ووقفها على جليل الأعمـال التى تدعو إلى رفعـة أمة الإسلام وإيقـاظها من سباتهـا وتذكيرها بعظمـة حضارتها وبما لهـا من أفضال على العلم والعلماء. ولقد جلب هذا عليه الكثيـر من المشاكل وأثار عليه حفيظة مثقفى الغرب وكسـالى الشرق، غيـر أنه لم يحد عن طـريق الحق رغم مزاعم المتهـافتين والحاقدين الذين ادعـوا زورا وبهتانا أنه قـد ارتد عن

الإسلام، وتلك لعمرى دسيسة صهيونية لإظهاره بمظهر العدو للعرب والمسلمين وليس لليهود فقط . ومما يؤسف له أن العرب قد ابتلعوا هذا الطعم بسذاجة وكالوا له السباب والاتهامات، فى الوقت الذى شنت عليه الصهيونية وأتباعها فى الغرب حربا شعواء .

إن موقف جارودى من اليهود والصهيونية وقيام دولة إسرائيل هو موقف معروف ولا يحتاج إلى دليل وهو الأمر الذى أقام قيامة اليهود عليه عام ١٩٨٢ عقب صدور بيانه الشهير «مجازر لبنان: معنى العدوان الإسرائيلى»، والذى وقَّعه معه الأب ميشيل لولون والقس إيتان ماتيو. وقادت الحرب عليه جمعية «ليكرا» وهى جمعية صهيونية دولية مقرها باريس وتدعى مناهضة العنصرية واللاسامية. ودأبت هذه الجمعية على محاربته بشتى الطرق المشروعة وغير المشروعة . ونجحت فى تقديمه إلى المحاكمة بتهمة النيل من الجنس اليهودى . وهى نفس التهمة التى يقف جارودى فى الوقت الحالى بسببها أمام المحاكم الفرنسية بمقتضى قانون جيسو الذى صدر عام ١٩٩٠، والذى يعتبر إعادة النظر فى تاريخ اليهود جريمة ضد الإنسانية .

ففى أعقاب صدور هذا الكتاب الذى بين أيدينا، تلقى جارودى دعوى قضائية لأنه قال فى كتابه: إن النصوص التوراتية أو اضطهاد هتلر لليهود لا يمكن أن يبررا سرقة أراضى فلسطينية واقتلاع سكانها وقمعهم بتلك الصورة الوحشية والدموية، كما أنها لا يمكن أن يبررا الخطة الإسرائيلية الرامية إلى تفكيك أواصر الدول العربية وتفريقها .

ولقد حاول جارودى فى كتابه هذا أن يستكشف حقائق التاريخ الحديث فى ضوء شهادات عتاة الصهيونيين وأن يكشف النقاب عن زيف الأساطير التى تأسست عليها السياسة الإسرائيلية فقام بتفنيد ما استندت إليه الصهيونية العالمية لإنشاء دولة إسرائيل، بالحجج والوثائق التاريخية، وهو ما أثار عليه شواظ غضب اليهود الذين شنوا عليه حربا ضروسا باتهامه بمعاداة السامية وبنفيه للتاريخ الرسمى الذى يؤكد على أن ضحايا الحرب العالمية الثانية من اليهود قد بلغوا ستة ملايين يهودى. وقد نجحت هذه الحملة فى تعبئة الرأى العام الفرنسى ضده، فى حين إنه لا يملك حتى حق الدفاع عن نفسه بعد أن رفضت جميع الصحف وأجهزة الإعلام نشر أو إذاعة حرف واحد من دفاعه عن نفسه. واكتفت بالهجوم على شخصه وعلى كل من ساندوه من أمثال الأب بيير، وهو من أكثر الشخصيات الدينية شعبية فى فرنسا، وعرف بمواقفه الشجاعة فى الدفاع عن الفقراء والمساكين والأجانب. فهو مؤسس جمعية «عمواس» الخيرية التى تسهر على تقديم العون للفقراء وعديمى المسكن وتخفيف وطأة الفقر عنهم وعن ذويهم. وقد تعرض هذا الأب الجليل فى الأيام الأخيرة لحملة ضارية من الصحافة لوقوفه فى صف واحد مع صديقه جارودى، وأسقطت عنه جمعية «ليكرا» المذكورة عضويتها الفخرية، فاضطر وهو فى سن الرابعة والثمانين إلى الابتعاد عن باريس، والهجرة إلى الجبل لتفادى الملاحقات والامتهانات بعد أن نعتوه بالسفه والخرف.

●●●

ويحتوى الكتـاب على ثلاثـة أجزاء، فضلا عن مقـدمة وخـاتمة. فالجزء الأول يتناول «الأسـاطير اللاهوتية» ويعالج الجـزء الثانى موضوع «أساطيـر القرن العشـرين» أما الجـزء الثالث فقـد كرسه للحـديث عن «الاستخدام السيـاسى للأسطورة». وفـى تمهيده لهذا الكتـاب يتساءل جـارودى: لماذا هـذا الكتـاب؟ ويرد على ذلك بأنـه جـزء من ثلاثيـة خصصها لمحـاربة التطـرف لدى جميع الأديـان السماويـة. واستطرد يقول: إن هذا الجزء ينصب على الأساطيـر التى قامت عليها السياسية الإسرائيلية،. وقد حـاولت شجب ما فيها من هرطقة سيـاسية صهيونية ترمى إلى استبدال رب إسرائيل بدولة إسرائيل، وإن دولة إسرائيل ما هى إلا «رد الرب علـى الهولوكـوست». ثم قـال: «إن هذا الكتاب يحـافظ بأمانة على النقد السياسى والأيديولوجى دون إسراف أو تعسف. ونعتقد أنه مسـاهمة منا فى معركـة التوصل إلى سلام حقيقى يقـوم على احترام الحقيقة التـاريخية والقـانون الـدولى، وتفعيل التاريخ النقـدى للعالم المعاصر».

والواقع أن الذى أثـار حفيظة اليهود والصهاينة فى الغرب هـو كلامه عن معسكـر أوشفيتـز. وعن التشكيك فـى رقم ٦ مـلايين يهـودى من ضحايا الحـرب، وهو أمر يعتبر منطقة محظورة وقـدس الأقداس. وقد نفى جارودى عن نفسه تهمـة معاداة السامية أو اليهـود، وأكد إنه يقف فقط مع الحق والحقيقة.

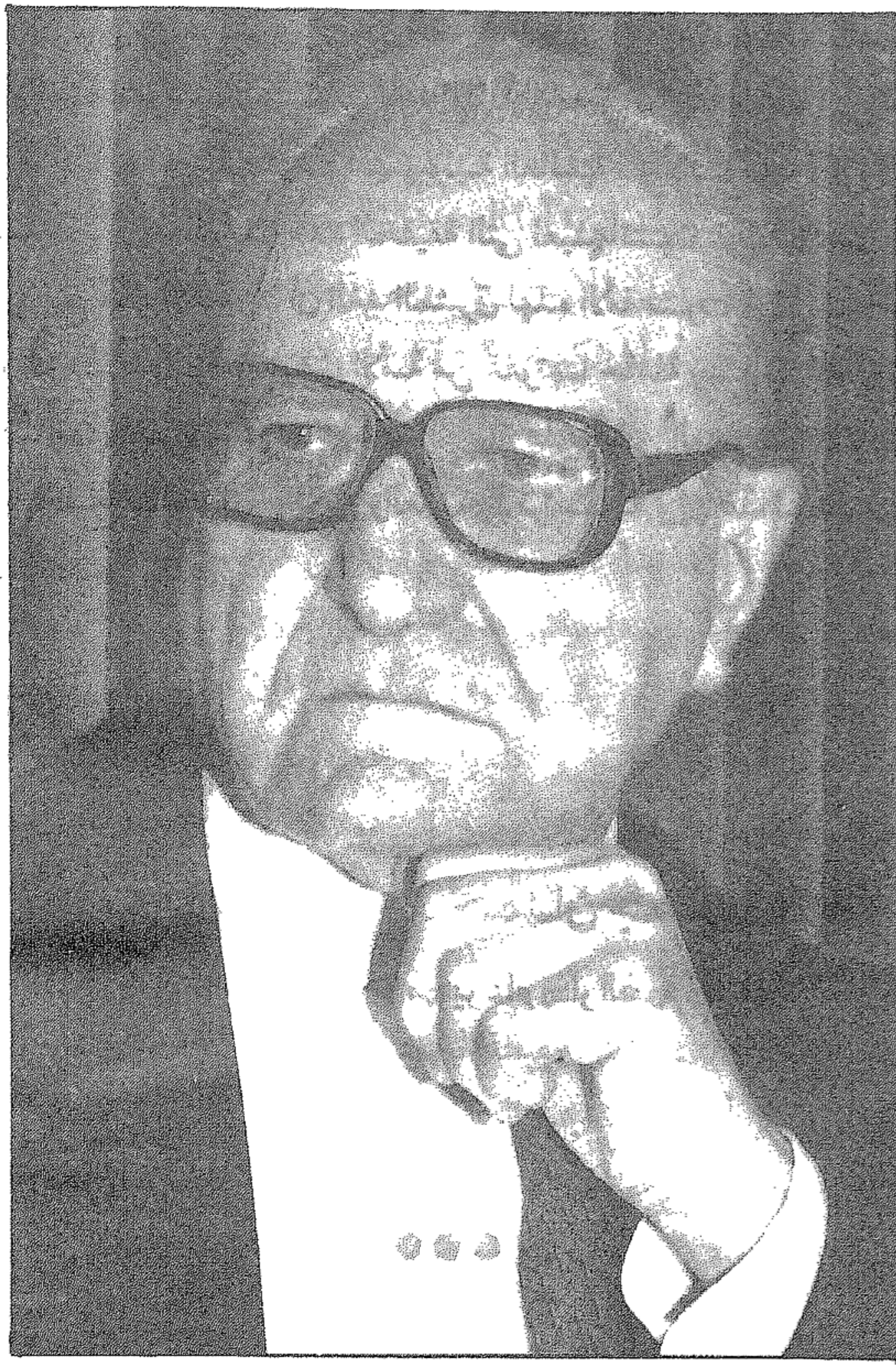
●●●

وإن لمن دواعى سرور [دار الغــد العربى] أن تقدم هذا الكتاب القيم لقراء العربية . . ولشباب هذه الأمـة بوجه خاص هذه الأمة التى لن تموت أبدًا . . مهما حاولت الصهيونيـة العالمية، والاستعمار الأمريكى الجديد . . وإذا كـانت هذه الحقيقة التى نعيشها تشهد تـرديًا لا مثيل له فى تاريخ هذه الأمـة إلا أن الغد المشرق لهذه الأمة سـوف ينبلج صباحه عما قـريب، وسوف تنهض الأمـة من غفوتهـا حاملة رسـالتها السـامية وحضارتها العـريقة لتعيد صياغـة الحياة على أرض العرب من المحيط إلى الخليج بـالحريـة والحق والعدل والكرامــــة وإن غدًا لناظـــــره قريب . . .

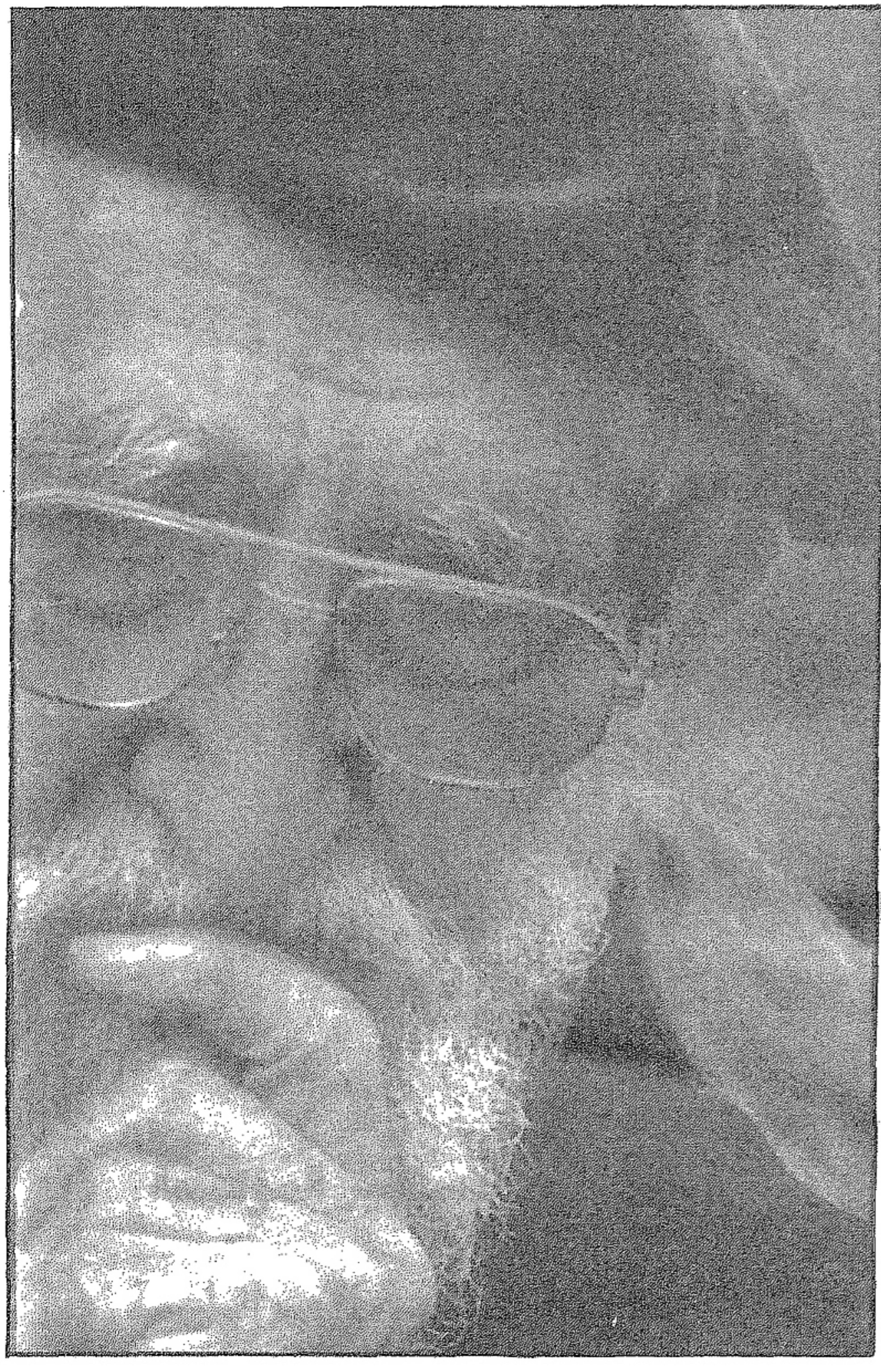
حمدان جعفر

مدير عام دار الغد العربى

●●●



روجيه جارودي



الأب بيير

الأساطير المؤسِّسة
للسياسة الإسرائيلية

تنويه من المؤلف

« إنه بعد أكثر من نصف قرن صدرت خلاله كتبى عن أكبر دور نشر فرنسية، فإننى مضطر اليوم لأن أطبع هذا الكتاب على نفقتى الخاصة، لأننى منذ عام ١٩٨٢ قد خرقت أحد المحرمات عندما انتقدت السياسة الإسرائيلية، التى يدافع عنها الآن قانون «جيسو فايوش الغاشم» الذي صدر فى ١٣ يوليه ١٩٩٠، والذى يعيد فى فرنسا جريمة الرأى التى سادت عصر نابليون الثالث وجعلت قانونا قمعيا يعوض ضعف الحجج».

●●●

مقدمة المؤلف

هذا الكتاب هو تاريخ الهـرطقة . وهو تاريخ يكمن فى جعل الدين أداة للسياسـة بإضفاء القـداسة عليها عـن طريق قراءة حـرفية وانتقـائية للكلام المنزَّل .

وهذا هو المرض القاتل فى نهايـة هذا القرن الذي سبق لى أن عرَّفته فى كتابى عن التطرف الدينى .

ولقد حاربت هذه النـزعة لدى المسلمين فى كتابي «**عظمة الإسلام وانحطاطه**» مجازفـا بأن أغضب كل من لا يحبون أن أقـول «إن التطرف الدينى هو مرض الإسلام» .

وحاربت هذه النزعة كذلك لدى المسيحيين فى كتابى «**نحو حرب بين الأديان**»، مجازفا بأن أغضب كـل من لا يحبون أن أقول «**إن مسيح بولس ليس هو المسيح عيسى**» .

وأنـا أحـارب هـذه النـزعـة الآن لـدى اليهـود فى كتـابى «**الأساطير المـؤسِّسة للسيـاسـة الإسرائيليـة**» مجـازفـا بأن أثير ضـدى عـواصف الصهاينة ـ الإسرائيليين الذين لم يعجبهم أن يذكِّرهم الحـاخام هيرش بأن «الصهيونية قضت بأن يصبح الشعب اليهودي كيـانا قوميا . . وتلك هى الهرطقة» .

[المصدر: جريدة الواشنجتن بوست الصادرة فى ٣ أكتوبر ١٩٧٨] .

فمـا هى الصهيونيـة التى أدينها وأفضحهـا علنا فى كتـابى «وليست

الديانة اليهودية»؟ .

وهى غالبا ما عرّفت نفسها بنفسها :

١ ـ إنها عقيـدة سياسية «منذ ١٨٩٦ ، ارتبطت الصهيونية بـالحركة السياسية التى أسسها تيودور هرتزل » .

[المصدر : مـوسوعـة الصهيونيـة وإسرائيل . دار هـرتزل، نيـويورك ١٩٧١ ، المجلد الثانى ، الصفحة ١٢٦٢] .

٢ـ إنها عقيدة قومية لم تولد من اليهودية بل من القومية الأوروبية فى القرن التاسع عشر . ولم ينتسب مؤسس الصهيونية ، هرتزل ، إلى الدين «إننى لا أنقاد لأى دافع دينى» .

[المصدر : تيودور هرتزل : اليوميات ، طبعة فيكتور جولانسز ، ١٩٥٨] .

«فأنا لا غنوصى (أى أنه من اللاادرية)» [ص ٥٤٠] .

فهو لا تهمـه الأرض المقدسـة بوجـه خاص : فهو يقبـل أيضا ومن أجل أهدافـه القوميـة ، بأوغندا أو طـرابلس أو قبرص أو الأرجنتين ، أو موزمبيق ، أو الكونغو . [المصدر: هرتزل، اليوميات، المرجع السابق] .

ولكن أمام معـارضة أصدقـائه من أصحاب الديـانة اليهوديـة ، فإنه يعى أهمية الأسطـورة القوية ، كمـا يقول [اليـوميات ، المجلـد الأول، ص ٥٦٠]التى «تؤلف صيحة للمّ الشعث ذات قوة لا تقهر» .

[المصدر : هرتزل، الدولة اليهودية، ص ٤٥٠].

إن هذا شعار تعبوى لا تستطيع أى سياسة واقعية أن تتجاهله. وهو ماصرح به عندما حوّل أسطـورة العودة القوية إلى حقيقة تاريخية: «إن فلسطين هى وطننا التـاريخى الذى لا ينسى. . وإن هـذا الاسم وحده سيظل صيحة لمّ الشمل القوية لشعبنا».

[المصدر: هرتزل: الدولة اليهودية، ص ٢٠٩].

« إن المسألة اليهودية ليست بالنسبـة لى مسألة اجتماعية ولا مسألة دينية. . إنها مسألة قومية ».

٣ ـ إنها عقيدة استعمارية. وهنا أيضا لا يخفى تيودور هرتزل الواعى أهدافه: فكخطوة أولى، تحقيق « شركة ذات امتيازات »، تحت حماية إنجلترا أو أى قوة أخرى، في انتظار تحويلها إلى دولة يهودية.

ولـذا فإنـه تــوجـه نحـو من اتضحت مهـارتـه فـي هـذا النـوع من العمليـات: المتـاجـر الاستعمــارى سيسيل رودس، الـذى استطـاع انطلاقـا من شركة ذات الامتيـازات تحويلهـا إلى دولة جنوب إفـريقيا، التى كانت إحدى عناصرها تسمى باسمه: روديسيا.

فقد كتب إليه تيودور هرتزل في ١١ يناير ١٩٠٢ ما يلى:

« أرجـوك أن ترسل إلىّ نصـا يقول إنك قـد فحصت برنـامجى وأنك تـوافق عليه. وقـد تتساءل لمـاذا أكتب إليك يا سيـد رودس. ذلك أن برنامجى هو برنامج استعمارى ».

[المصدر: هرتزل، اليوميات، الجزء الثالث، ص ١٠٥].

عقيدة سياسية وقومية واستعمارية، تلك هى الخصائص الثلاث التى تشرح السياسة الصهيونية التى انتصرت في مؤتمر بازل فى أغسطس ١٨٩٧، والتى انتصر بها تيودور هرتزل مؤسسها العبقرى والميكيافيلى، واستطاع أن يقول وعن حق، في نهاية هذا المؤتمر: «لقد أسست الدولة اليهودية» [المصدر : اليوميات، ص ٢٢٤].

وبالفعل وبعد مضى نصف قرن، كانت هذه هي السياسة التى سيطبقها بالضبط تلامذته بإنشاء دولة إسرائيل طبقا لأساليبه وتبعا لخطه السياسى (وذلك في أعقاب الحرب العالمية الثانية).

ولكن هذه العملية السياسية والقومية والاستعمارية، لم تكن بأى حال من الأحوال امتداد للديانة والروحانية اليهودية.

ففى نفس وقت انعقاد مؤتمر بازل الذى لم ينعقد في ميونخ (كما كان يتوقعه هرتزل) بسبب معارضة الجالية اليهودية الألمانية، انعقد مؤتمر مونتريال في أمريكا (١٨٩٧) حيث تم التصويت وباقتراح من الحاخام إسحاق مايرويز، الشخصية اليهودية التى كانت تمثل اليهود هناك في ذلك الوقت، على قرار تعارضت فيه تعارضا جذريا قراءتان للتوراة، وهما القراءة السياسية والقبلية للصهيونية والقراءة الروحانية والكونية للأنبياء.

«إننا نشجب تماما أى مبادرة تهدف إلى إنشاء دولة يهودية. وإن أى محاولات من هذا القبيل تكشف عن مفهوم خاطيء لرسالة إسرائيل..

التى كان الأنبياء اليهود هم أول من نادى بها . . ونؤكد أن هدف اليهودية ليس بهدف سياسى ولا قومى، ولكـن روحى . . فهو يشير إلـى عصر مسيحى حيث يعترف كل النـاس بأنهم ينتمون إلى طائفة واحـدة كبرى لإنشاء مملكة الرب على الأرض».

[المصـدر : المؤتمـر المركـزى للحاخـامات الأمـريكيين، الكتاب السنوى السابع، ١٨٩٧، صفحة ١٢].

وهكذا كـان رد الفعل الأول للمنظمات اليهـودية ابتـداء من « رابطة حاخـامات ألمانيا »، وحتى « الاتحـاد الإسرائيلى العالمى لفـرنسا »، «والاتحـاد الإسرائيلى » فـي النمسا، وكـذلك الـرابطات اليهـوديـة في لندن.

وهذه المعارضة حيال الصهيونية السياسية، المستوحاة من التمسك بروحـانية الديـانة اليهوديـة، ما فتئت تعبر عن نفسهـا حتى في أعقاب الحرب العـالمية الثـانية، عنـدما استغلـت الصهيونيـة الإسرائيليـة مرة أخـرى، المخاصمـات والمشاحنـات التى دارت بين الـدول في الأمم المتحدة، ولا سيما التـأييد غير المشروط من الولايـات المتحدة، لكى تفوض نفسها كقوة مهيمنة، وتمكنت بفضل مختلف أنواع اللوبى، من عكس الاتجاه وإنجاح سياسة القوة الإسرائيلية الصهيونية، على عكس مـا كـان متـوقعـا. ولكنهـا مع ذلـك لـم تفلح في تكميم نقـد كبـار الروحانيين.

ولم يتـوقف مارتن بـوبر، أحـد الأصوات اليهـودية الكبرى فـي هذا

القـرن، طوال حيـاته، وحتى وفـاتـه في إسرائيل، عن شجب انحـلال الصهيونية الدينية وارتكاسها إلى صهيونية سياسية.

فقد أعلن مارتن بـوبر في نبويورك: « إن الشعور الـذى اعترانى منذ ستين عامـا، عندما انضممت إلى الحركـة الصهيونية، هو في جـوهره نفس الشعور الذي يعتريني اليوم.. لقد كان أملى ألا تتبع هذه القومية طريق الآخـرين - وأن تبدأ بآمـال عريضة لكى لا تتـردى بعد ذلك حتى تصبح نزعـة أنانية مقـدسة، تجاسرت ــ كموسولينى ــ أن تعلن نفسها أنانية مقـدسة، كما لو كـانت الأنانية الجماعيـة تستطيع أن تكون أكثر قداسة من الأنانية الفردية.

وعندما عدنا إلى فلسطين، كان السؤال الحاسم هو: أتود أن تحضر إلى هنا كصديق وكأخ، وكعضو في مجتمع شعوب الشرق الأوسط، أو كممثل للاستعمار والإمبريالية؟.

لقـد كـان التنـاقض بين الهـدف ووسائل بلـوغـه سببـا في انقســام الصهاينة: فالبعض أراد أن يحظى بامتيـازات سياسية خاصة من القوى العظمى، والآخـــرون، ولا سيمـا الشبـاب، أرادوا فقط السمـــاح لهم بـــالعمل فـي فلسطين مع جيـــرانهم، مـن أجل فلسطين ومـن أجل المستقبل..

ولكن كل شيء لـم يكن يسير على مـا يرام في علاقاتنـا مع العرب، ومع ذلك فقد كانت هناك عموما الجيرة الحسنة بين قرية يهودية وأخرى عربية.

وهـذه المـرحلة العضـويـة من الاستيطـان في فلسطين دامت حتى عصر هتلر.

وهتلـر الـذى دفع بجمـوع اليهـود إلى الـذهـاب إلى فلسطين، لا بالنُّخَب التى جاءت لمواصلة حيـاتها والإعداد للمستقبل. وهكذا فقد أعقب هذا التطور العضـوى الانتقائى هجرة جماعية ومـا استلزمه ذلك من إيجاد قوة سيـاسية لسلامها وأمنها. . وقد فضلت غـالبية اليهود أن يتعلموا من هتلـر بدلا من أن يتعلموا منـا. . ولقد برهن هتلـر أن مسار التاريخ لا يساير مسار العقل، ولكن مسار القوة، وإنه عندما يكون أى شعب على قدر من القـوة، فإنه يستطيع أن يقتل دون عقـاب. . وهذه هى الحالة التى كـان علينا أن نحاربها. . . . وفي « إيهـود » اقترحنا ألا يكتفى اليهـود والعرب بـالتعايش ولكن أن يتعـاونوا. . وذلك بمقـدوره إحداث تنميـة اقتصاديـة في الشرق الأوسط، وبفضلـه يستطيع الشرق الأوسط أن يساهم بشكل كبير وجوهرى في مستقبل الإنسانية ».

[المصدر : النشرة اليهودية الصادرة في ٢ يونيه ١٩٥٨].

وفي بيانه الذى ألقاه أمام المؤتمر الصهيونى الثاني عشر المعقود في كارلسباد في ٥ سبتمبر ١٩٢١، قال: إننا نتكلم عن روح إسرائيل، كما إننا نؤمن بأننا لا نشبه الشعوب الأخرى. . .

ولكن إذا مـا كـانت روح إسـرائيـل ليست شيئًـا آخـر سـوى تخليق هويتنـا القومية، وتبريـر جميل لأنانيتنا الجماعيـة. . التى تحولت إلى صنم معبـود، بـرفضنـا قبـول إلـه آخـر سـوى رب السمـوات، نكـون

كـالشعوب الأخـرى، ونشـرب معهم من الكأس التى تسكـرهم فالأمـة ليست هى القيمة العليا. . فاليهود أكثر من أن يكونوا أمة: إنهم أعضاء في جماعة مؤمنة.

« لقد اقتلعت الديانة اليهودية من جذورها، وهذا هو جوهر المرض الذى كانت أعراضه هى ولادة القومية اليهودية في منتصف القرن التاسع عشر. وهـذا الشكل الجديد للرغبـة في الأرض هى الخلفية التى آذنت بما استعارته اليهودية القومية الحديثة من القومية الحديثة في الغرب. .

وما هو دور فكرة « اختيار إسرائيل في كل ذلك؟ » فالاختيار لا يعنى شعورا بالسمو، ولكنه يشير إلى معنى المصير. وهذا الشعور لا يولد من مقارنة مع الآخرين، ولكن من رسالـة ومن منطلق مسئولية إنجاز مهمة لم يفتأ الأنبياء يذكّرون بها: إنكم إذا ما تفاخرتم بأنكم مختارون بدلا من أن تعيشوا في طاعة الله، فإن هذا ضرب من الغدر والخيانة ».

وختم حديثه بذكر تلك « الأزمة القـومية » للصهيونية السياسية التى تعتبر تحريفا لروحانية الديانة اليهودية، قائلا:

« كنا نأمل في أن ننقـذ القومية اليهوديـة من خطأ تحويل شعب إلى صنم معبود. ولكننا قد أخفقنا ».

[المصـدر: مـارتن بـوبـر، إسرائيل والعـالم. نيـويـورك، ١٩٤٨، الصفحـة ٢٦٣].

وقد اعتبـر الأستاذ جـوداس ماجنيس، رئيس الجـامعة العبـرية فى

القدس منذ ١٩٢٦ ، أن « برنامج بلتيمور » لعام ١٩٤٢ ، الذى قضى بإنشاء دولة يهودية في فلسطين « سيؤدى إلى حرب ضد العرب » .

[المصدر: نورمان بنتويش، من أجل صهيون. سيرة جوداس ماجنيس ، فيلادلفيا، منشورات الجمعية اليهودية في أمريكا، ١٩٥٤ ، الصفحة ٣٥٢].

« وعند إلقائه لبيانه عند افتتاح هذه الجامعة العبرية في عام ١٩٤٦ والتى رأسها منذ ٢٠ سنة ، قال: إن الصوت اليهودي الجديد يتكلم عبر فوهات البنادق . . . وهذه هى التوراة الجديدة لأرض إسرائيل . لقد تكبل العالم بقيود جنون القوة المادية . وليحفظنا الرب الآن من اقتياد اليهودية وشعب إسرائيل إلى هذا الجنون . إنها يهودية ملحدة تلك التى طعنت على جزء كبير من الشتات القوى . وكنا نعتقد زمن الصهيونية الرومانتيكية، أن صهيون ينبغى افتداؤه بالاستقامة والنزاهة . ويتحمل جميع يهود أمريكا مسئولية هذه الغلطة ، وهذا التحول . . حتى من لم يوافقوا على تصرفات الإدارة الملحدة، ولكنهم ظلوا قاعدين مكتوفى الأيدى . إن تخدير المعنى الأخلاقى يؤدى إلى الضمور والهزال » .

[المصدر : المرجع السابق ، ص ١٣١].

والواقع أنه منذ إعلان بلتيمور، كان القادة الصهاينة في أمريكا قد حصلوا على أكبر حام لهم : الولايات المتحدة . وقضت المنظمة الصهيونية العالمية على معارضة اليهود الأمناء على التقاليد الروحية لأنبياء إسرائيل ، وطالبت بإنشاء ليس فحسب « وطن قومى يهودى فى

فلسطين »، طبقا لنصوص (بل ولروح) إعلان بلفور، ولكن بإنشاء دولة يهودية في فلسطين.

وقد سبق لألبرت أينشتاين أن أدان في عام ١٩٣٨ هذا التوجه:

« في رأيي فإنه من المعقول أكثر التوصل إلى اتفاق مع العرب على أساس حياة مشتركة ومسالمة، بدلا من إنشاء دولة يهودية. وإن إحساسى الذاتى بالطبيعة الجوهرية لليهودية يصطدم بفكرة دولة يهودية لها حدودها، وجيشها ومشروعها للسلطة الدنيوية مهما كانت متواضعة. وأخشى من الخسائر الداخلية التى قد تتكبدها اليهودية بسبب قيام قومية ضيقة في صفوفنا.. وإننا لم نعد يهود عصر المكابى. ومجرد أن نصبح أمة بالمعنى السياسى للكلمة يساوى أننا سنحود عن روحانية طائفتنا التى ندين بها لأنبيائنا ».

[المصدر: الحاخام موشى مينوهن: انحلال اليهودية في زمننا، ١٩٦٩، صفحة ٣٢٤].

ولم تنقصنا رسائل التذكير كلما انتهكت إسرائيل القانون الدولى.

وسنكتفى هنا بذكر مثالين اثنين على ذلك، حيث قيل بصوت عال ما يراه ملايين اليهود ولكن دون أن يتمكنوا من الإفصاح عنه علانية خوفا من محاكم التفتيش الفكرية للوبى الإسرائيلى ـ الصهيونى: ففى عام ١٩٦٠، وأثناء محاكمة إيخمان في القدس، أعلن المجلس الأمريكى لليهودية:

« وجه المجلس الأمـريكى لليهودية أمس الإثنين خطابـا إلى السيد كريستين هـرتر ينكـر فيه حق الحكـومة الإسـرائيلية في التحـدث باسم اليهود كافة.

ويعلن المجلس أن اليهــوديــة هى مســألــة دين وليست مسألــة جنسية».

[المصدر: جريدة لموند، ٢١ يونيه ١٩٦٠].

وفي ٨ يونيـه ١٩٨٢ ، كتب الأستاذ بنيامين كوهين، من جـامعة تل أبيب، وأثنـاء غزو الإسـرائيليين الدامـى للبنان، إلى الأستـاذ بيرفيـدال ناكيه(١):

« أكتب إليك وأنا استمع إلى راديـو الترانزيستور الـذى أعلن « أننا » في سبيل تحقيق هدفنا في لبنان: وهــو ضمان السلام لأهالى الجليل. وهذه الأكاذيب الجديرة بشخص كجـوبلز، تجعلنى كالمجنون. ومن الواضح أن هذه الحرب الشرسة والضاريـة، وهى حرب أكثر بربرية من كل سابقاتهـا، لا علاقة لها بأى شيء، لا بحـادث الاغتيال الذى وقع في لندن، ولا بأمن الجليل.. ولا اليهود، أبناء إبراهيم.. هؤلاء اليهود الـذين هـم ضحـايا أنفسهم مـن جراء هـذا الكم الضخم من الضـراوة والـوحشيـة، هـل يمكن أن يصبحـوا على هـذا القـدر مـن الفظـاظـة والقســاوة؟ إن أكبـر نجــاح للصهيـونيــة هــو « عـدول اليهــود عن

(١) وهو أستاذ فرنسى يهودى مشهور، يدرس التاريخ في جامعة السربون.

اليهودية» . . .

وأرجوكم أيها الأصدقاء أن تقوموا بكل ما فى وسعكم لكى لا يحرز أتباع بيجين وشارون هدفهم وهو التصفية النهائية (وهى العبارة السائدة في أيامنا هذه) للفلسطينيين كشعب والإسرائيليين كبشر » .

[المصدر : خطاب منشور في جريدة « لموند » بتاريخ ١٩ يونيه ١٩٨٢ ، ص ـ ٩] .

« الأستاذ ليبوفيتس يدمغ السياسة الإسرائيلية في لبنان ويصفها بأنها يهودية ـ نازية » .

[المصدر: ايعدوت احرونوت، ٢ يوليه ١٩٨٢ ، ص ـ ٦] .

وهذا هو رهان المعركة بين الديانة اليهودية التوراتية وبين القومية الصهيونية ، التى تقوم مثلها في ذلك مثل أى قومية ، على رفض الآخر وتقديس الذات .

فكل قومية في حاجة إلى تقديس ادعاءاتها : فبعد تفكك المسيحية ، ادعت كل دولة ـ أمة أنها قد تلقت الإرث المقدس وأنها حازت على الولاية من الرب :

ففرنسا هى « البنت البكر للكنيسة » ، والتى بها تتم أفعال الرب . وألمانيا هى « فوق الجميع » لأن الله معها . وأعلنت إيفا بيرون « أن رسالة الأرجنتين هى تقديم الله إلى العالم » ، وفى عام ١٩٧٢ ، تكهن

بدوره رئيس وزراء جنوب إفريقيا، فورستر المشهور بعنصريته الوحشية المتمثلة في الفصل العنصري، وأخذ يهذو بعبارات مثل « لا تنسوا أننا شعب الله، بعثنا برسالة». . . وتشاطر القومية الصهيونية هذه النشوة مع كل القوميات.

وحتى الأذكياء والمستنيرين غمرتهم هذه النشوة.

فرجل مثل الأستاذ أندريه نهير، وفي كتابه الرائع: جوهر النبوءة (دار كلمان ليفى، ١٩٨٢، ص ـــ ٣١١)، وبعد أن أثار بشكل جيد المعنى الكونى للتحالف: تحالف الرب مع الإنسان، أفضى به الحال إلى القول: إن إسرائيل هى وبامتياز « علامة التاريخ الإلهى في العالم. فإسرائيل هى محور العالم، وهى العصب والمركز والقلب ». [ص - ٣١١].

ومثل هذه العبارات توحى وبشكل فاضح، « بالأسطورة الآرية » التى أسست أيديولوجيتها الجرمانوية والهتلرية. وعلى هذا الطريق، فإننا نقف على نقيض تعاليم الأنبياء وعبارة أنا وأنت الرائعة لمارتن بوبر.

والاستبداد بالرأى يلغى الحوار ويحول دونه: فلا يمكن التحاور مع هتلر ولا مع بيجين، لأن سموهم الجنسى أو تحالفهم القصرى مع الإله، لا يترك أى مجال للآخر.

ولأننا نعى أنه في عصرنا هذا لا بديل عن الحوار أو الحرب، وأن

الحـوار يقتضى، وهو مـا لا نملُّ من تـرديـده، أن يعى كل إنسان منـذ البداية ما ينقصـه من إيمان، وأنه في حاجة إلى الآخـر لسد هذا الفراغ لديـه، وهو شرط كل تفـوق على الذات، وكل رغبة في الكمـال (وهو روح كل إيمان حيٍّ).

فإن مختاراتنـا هذه عن الجـريمة الصهيونيـة يسير في امتـداد جهود هؤلاء اليهود الذين حـاولوا الدفاع عن اليهودية التوراتية ومنـاصرتها ضد الصهيونية القبلية.

وما يغذى معاداة الصهيونية ليس نقـد سياسة العدوان والإفك والدم التى تمـارسها الصهيـونيـة الإسرائيليـة بل التأييـد غيـر المشروط لهـذه السياسة التى أضحت لا تحتفظ من التقاليد العظيمـة لليهودية سوى ما يبرر هذه السياسة عن طريق التفسير الحرفى، وما يضعها فوق كل قانون دولى بإضفاء القداسة عليها بواسطة أساطير الغد واليوم.

●●●

أولا

الأساطير اللاهوتيـــة

١ ـ أسطورة «الوعـــد» :

أرض موعودة أم أرض مغتصبة ؟

«لنسلك أعطِ هــذه الأرض
من نهــر مصــر إلى النهــر
الكبير نهر الفرات »

سفر التكوين : ١٥ ـ ١٨

●●●

القراءة المتطرفة للصهيونية السياسية :

«إذا كنا نملك التوراة ، وإذا كنا نعتبر أنفسنا شعب التوراة ، فمن الواجب علينا أن نمتلك جميع الأراضى التوراتية» .

الجنرال موشى ديان ، جيروزاليم بوست ، ١٠ أغسطس ١٩٦٧ .

● فى ٢٥ فبراير ١٩٩٤ ، قتل الدكتور باروخ جولدشتين العرب وهم يصلون فى الحرم الإبراهيمى .

● وفى ٤ نوفمبر ١٩٩٥ ، اغتال إيجال عامير إسحاق رابين «بأمر من الرب» ومن جماعته المسلحة ، التى تنادى بإعدام كل من يفرط فى الأرض الموعودة «ليهودا وسامرا» (الضفة الغربية حاليا) ويسلمها للعرب .

أ) فى التفسير المسيحى :

يوجز البيردى بورى ، أستاذ العهد القديم فى كلية اللاهوت البروتستانتية فى جنيف ، رسالته للدكتوراه «الوعد الإلهى والخرافة الشعائرية فى أدبيات يعقوب» ، التى ناقش فيها كبار المؤرخين والمفسرين المحدثين وخاصة البرخت آلت ومارتن نوت ، على النحو التالى :

«إن الموضوع التوراتى لهبة البلاد يستمد أصوله من «الوعد الأول» أى الوعد الإلهى لإبراهيم بحسب المأثور فى سفر التكوين . فأقاويل سفر التكوين تنقل لنا فى مرات عديدة وبأشكال مختلفة : إن الله وعد

الآباء وذرايتهم بملكيــة الأرض التى كانوا فى سبيلهم إلى التــوطن فيها . وهذا الوعد يبدو أنه ينطبق قبل كل شيء على المناطق الواقعة حاليا فى الضفة الغربية .

ويعرض القصاصون التوراتيون علينــا تاريخ أصول إسرائيل كسلسلة من العصــور المحددة تحـديدا دقيقـا . فهم يـدخلون كل الـذكريـات والتواريخ والخـرافات والحكـايات والأشعار التـى وصلتهم والتى نقلها لنــا التراث الشفهى ، ضمن إطـار محـدد للأنسـاب والتأريخ . ويتفق معظم المفسرين المحـدثين على أن هذه الصورة التاريخيـة ما هى إلا صورة وهمية إلى حد كبير .

وقد برهنت أعمال البرخت آلــت ومارتن نوت وعلى وجه الخصوص أن التقسيم إلى عصور متواليـة (الآباء ـ السخرة فى مصر ـــ غزو كنعان) هو تقسيم اصطناعى .

وفى معرض إيجازها لأعمال التفسير المعـاصرة وفقاً لمقولة البيردى بـورى ، كتبت السيـــدة فـرنسـواز سميـت ، عميـدة كليـة الـــلاهـوت البروتسانتية فى باريس تقول :

«إن البحـوث التـــاريخيـة الأخيـرة تـوصلت إلـى تقليص العـروض الكـلاسيكيـة للخـروج من مصـر ، وغـزو كنعان ، والـوحـدة القـوميـة الإسرائيلية قبل المنفى ، وصورتها على أنها قصة خرافية ، فعلم التاريخ التوراتى لا يخبرنا بما يقصه علينا بل يخبرنا عمن كتبوه» .

[المصدر: فرنســواز سميت : البروتستانت والتوراة وإســرائيل منذ عام ١٩٤٨ ـ

مجلة لالتر، نوفمبر ١٩٨٤ ، رقم ٣١٣، ص ٢٣] .

لقد قـدمت السيدة فـرانسواز سميت ـ فلورانتان تـوضيحا صـارما لأسطورة الوعد فى كتابها : «الأساطير غير الشرعية ، دراسة حول الأرض الموعودة» لابور وفيديس ، جنيف ، ١٩٩٤ .

ويستطرد البيردى بورى قائلا : إن معظم المفسـرين قد أخذوا الوعد المعطى لـلآباء بمعنـاه الكـلاسيكى على أنـه إضفاء للشـرعيـة ـ بعـد الأحداث ـ على الغزو الإسرائيلى لفلسطين ، أو على أنه امتداد للسيادة الإسـرائيليـة فى عهـد داود . بعبارة أخـرى ، فقـد أدخل الـوعـد ضمن أحاديث الآباء بغيـة اتخاذ هذه الملحمة السلفيـة كتمهيد وكإعلان عن العصر الذهبى الداودى والسليمانى .

ونستطيع الآن أن نحصر بإيجاز أصول الوعد المعطى للآباء :

١ ـ الوعد بالأرض ، بمعنى الوعد بالاستقرار، وقد وجه أولا إلى قبائل البـدو الرحل التى كـانت تطمح إلى الاستقـرار فى مكان مـا بالمنـاطق الصالحـة للسكنى . وبمقتضى هذا ، فإن الـوعد كـان جزءا من الإرث الدينى والروائى لعدة قبائل بدوية متباينة .

٢ ـ أمـا وعد الـرُّحَّل فقد كـان الغرض منـه ليس الغزو السيـاسى أو العسكرى لمنطقة أو لبلد بأكمله ، بل الاستقرار فى منطقة محدودة .

٣ ـ وفى الأصل ، فإن الوعد المعطى للآبـاء والذى تحدث عنه سفر التكـوين ، لـم يقطعه يهـوى (الرب الـذى دخل فلسطين مع مجموعـة

الخروج)، ولكن الرب الكنعانى ايل فى إحدى أقانيمه المحلية: والرب المحلى، مالك الأرض، هو وحده الذى يستطيع أن يمنح للرُّحَّل حق الاستقرار فى أراضيه.

٤ ـ وبعد ذلك، وعندما تجمعت القبائل الرُّحَّل التى استقرت مع قبائل أخرى لتشكيل «شعب إسرائيل»، فإن الوعود القديمة كانت بمثابة أهداف قد تحققت، ومن ثم بدأ الوعد يتخذ أبعادا سياسية وعسكرية «وقومية». وعلى ذلك فإن الوعد بعد إعادة تفسيره على هذا النحو، فُهِمَ على أنه التجسيد المسبق للغزو النهائى لفلسطين، وكإعلان وإضفاء للشرعية على مملكة داود.

مضمون وعد الآباء :

«بينما يرجع وعد «الرُّحَّل»، الذى يهدف إلى توطين عشيرة موحدة، إلى أصل يسبق الحوادث دون شك، فإن الأمر يختلف بالنسبة للوعد الموسع ذى الأبعاد «القومية». ونظرا لأن القبائل الإسرائيلية لم تتوحد إلا بعد استيطانها فى فلسطين، فإن إعادة تفسير وعد الرحل ليصبح وعدا بالسيادة السياسية، قد تمت بعد الأحداث. وعلى ذلك، فإن وعد سفر التكوين ١٥ ـ ١٨/ ٢١، الذى يتوخى سيادة الشعب المختار على جميع المناطق الواقعة «بين نهر مصر (= وادى العريش) والنهر الكبير نهر الفرات» وعلى جميع الشعوب التى تقطن هناك، هو بجلاء نبوءة ما قبل الأحداث مستوحاة من غزوات داود.

وقد أتاحت البحوث التفسيرية التأكيد على أن توسيع وعد الرحل

وجعله وعدا «قوميا» قد حدث قبل تحرير أقاويل الأوائل خطيا.

ولقد عاش القصاص يهويا، الذى يعتبر أول قصاص كبير (أو بالأحرى: محرر الأحاديث) للعهد القديم، فى عصر سليمان. ومن ثم فقد كان معاصرا وشاهدا على هذه العقود التى تحقق فيها وعد الآباء، الذى أعيد تفسيره فى ضوء داود، بما يفوق كل الآمال.

ونص سفر التكوين ١٢ ــ ٣ ب، هو نص من تلك النصوص الأساسية لفهم أعمال يهويا. ووفقا لهذا النص، فإن بركة إسرائيل قد رافقتها بركة جميع «قبائل الأرض». وقبائل الأرض هم أولا كل الشعوب التى كانت تتقاسم مع إسرائيل فلسطين والضفة الغربية.

وهكذا فإننا لسنا فى حِل من التأكيد على أنه فى فترة ما من فترات التاريخ، ظهر الرب أمام شخصية تاريخية تسمى إبراهيم وإنه قد منحه الصكوك الشرعية لامتلاك أرض كنعان. ومن الناحية القانونية، فإننا لا نملك أى صك للهبة موقَّعة من «الله»، بل ولدينا من الأسباب القوية ما يجعلنا نفكر فى أن المنظر الوارد فى سفر التكوين ١٢ ـ ١/٨؛ ١٣ ـ ١٨/١٤، على سبيل المثال، لا يعكس حادثة تاريخية.

فهل من الممكن، والحال هذه، تفعيل وعد الآباء؟ فإذا كان معنى تفعيل الوعد هو استخدامه كصك من صكوك الملكية أو لوضعه فى خدمة المطالبات السياسية، فهو قطعا ليس كذلك.

فليس هناك أى سياسة لها حق ادعاء كفالة الوعد وضمانه.

ولا نتفق بأى شكل من الأشكال مع أى من المسيحيين الذين يعتبرون وعود العهد القديم بمثابة إفضاء للشرعية على المطالبة بالأراضى الحالية لدولة إسرائيل» .

[المصدر: اقتطفت كل هذه النصوص من المحاضرة التى ألقيت فى ١٠ فبراير ١٩٧٥ فى كريت ـ بيرارد (سويسرا) والتى نشرت فى مجلة الدراسات اللاهوتية والدينية، العدد ٣، ١٩٧٦ (مونبلييه)] .

ب) فى التفسير اليهودى للنبوءات :

(محاضرة الحاخام ألمر برجر، الرئيس السابق لرابطة «من أجل اليهودية» فى الولايات المتحدة) .

إنه من غير المقبول من أى إنسان الادعاء بأن إنشاء دولة إسرائيل حاليا هو تحقيق لنبوءة توراتية ، ومن ثم فإن كل الأفعال التى قام بها الإسرائيليون لقيام دولتهم والإبقاء عليها هو تنفيذ لإرادة الرب .

إن السياسة الحالية لإسرائيل قد حطمت أو على الأقل قد طمست المعنى الروحانى لإسرائيل .

وأقترح أن نبحث عنصرين أساسيين لإرث النبوءات .

أ ـ أولا، فإنه عندما تحدث الأنبياء عن استعادة صهيون ، فهذا لا يعنى الأرض التى كان لها فى حد ذاتها صفة القداسة .

فالمحك المطلق الذى لا يقبل النقاش بشأن مفهوم نبوءة الخلاص، هو استعادة العلاقة بالرب ، فى وقت كانت فيه هذه العلاقة

قد قطعت من جانب الملك وشعبه .

وقـد قـال ميشـا ذلك بكل وضـوح ، «استمعـوا إذن يـا رؤسـاء بيت يعقوب ، وقادة بيت إسرائيل ، يامن تكرهون الخير وتحبون الشر، . . . يا من تبنون صهيون وسط حمَّامات من الدم والقدس بجرائمكم . . . . إن صهيون سَيُحـرث كالحقل ، وستصبح القدس (أورشاليم) كـومة من الأطلال ، وسيصبح جبل المعبد مكانا لعبادة الأصنام» .

المصدر: ميشا الثالث، ١ ـ ١٢ .

لن يكون صهيـون مقدسا ، إلا إذا سادت شريعـة الله . وهذا لا يعنى أن كل الشريعة التى استنت للقدس هى شريعة مقدسة .

ب ـ وليست الأرض وحدها هى التى تتوقف عليها مراعاة العلاقة مع الـرب والإخـلاص لهـا : فإن الشعب الـذى أعيد تـوطينـه فى صهيـون يخضع لنفس مقتضيات العدالة والاستقامة والإخلاص التى للعلاقة مع الرب .

ولا يمكن لصهيـون أن ينتظر إعادة شعـب يعتمد على المعـاهدات والتحالفات وعلاقات القوة العسكريـة ، أو على هيراركية حربية تحاول أن تفرض تفوقها على جيران إسرائيل .

. . . وتوضـح تقاليـد النبوءات بجلاء أن قـداسة الأرض لا تتـوقف على تُـربتها ، ولا على شعبهـا ، ولا على الوجـود الوحيد لهـذا الشعب على هذه الأرض .

والأمر الـوحيد المقـدس والجديـر بصهيون، هو التحـالف الإلهى الذى تعبِّر عنه مواقف شعبه.

ومع ذلك فإن دولـة إسـرائيل الحـاليـة ليس لهـا أى حق فى ادعـاء تحقيق النية الإلهية من أجل عصر مسيحى...

فهذه هى محض غوغائية التربة والدم.

فلا الشعـب بمقدس ولا الأرض بمقدسـة وهما ليسـا جديـرين بأى امتيازات روحية فى العالم.

إن النزعـة الشمولية الصهيونيـة التى تسعى إلى إخضاع كل الشعب اليهودى، حتى ولـو بالعنف والقـوة، تجعل من هذا الشعب شعبـا من بين الشعوب الأخرى وشبيه بها».

[المصدر: الحاخام ألمر برجر: «النبـوءة والصهيونية ودولة إسرائيل»، محاضرة ألقيت فى جامعة ليدن (هولندا) فى ٢٠ مارس ١٩٦٨].

●●●

ولم يكن إيجال عـامير، قاتـل إسحاق رابين، بعربيـد أو بمجنون، ولكنه النتاج الخالص للتربية الصهيونية.

فهو ابن حـاخام، وطـالب ممتاز فى الجامعـة الإكليركيـة بأرعيلان بالقرب من تل أبيب، وتشبع بتعاليم المـدارس التلمودية، وجندى من جنود الصفوة فى الجولان، ويحتفظ فى مكتبته بسيرة باروخ جولدشتين (الـذى اغتـال منـذ عـدة شهـور فى الخليل، ٢٧ من العـرب وهم

يصلون). وهـو لاشك قد شـاهد فى التليفـزيون الرسمـى الإسرائيلى، العرض الكبير الخاص بجماعة «إيال» (محاربو إسرائيل) وهم يحلفون على قبر مـؤسس الصهيونية السياسيـة، تيودور هرتزل بأن «يعـدموا أى شخص يفرط للعرب فى أرض الميعاد» فى يهودا وسامرا (الضفة الغربية حاليا).

ويندرج اغتيال الرئيس رابين (والاغتيالات التـى اقترفها جولدشتين) ضمن المنطق الضيق لميثـولوجية المتطـرفين الصهيونيين، وكمـا يقول عاميـر: «إن الأمر بـالقتل جاءه من الرب»، كمـا كان يحـدث فى عهد يشوع.

[المصدر: لموند، ٨ نوفمبر ١٩٩٥].

وهو لم يكن على هامش المجتمع الإسرائيلى: فإن المستوطنين فى قريـة إربا وحبرون (الجليل) كـانوا يرقصـون فرحا يـوم اغتيال رابين وهم يـرددون مـزاميـر داود حـول الضـريح المقـام على شـرف بـاروخ جولـدشتين.

[المصدر: جريدة أليبس (أسبانيا) الصادرة فى ٧ نوفمبر ١٩٩٥، ص-٤].

لقد كان إسحاق رابين هدفا رمزيا، وليس كما ادعى بيل كلنتون عند تشييع جنازته، من أنـه «قد حارب طوال حياتـه من أجل السلام» (وهو الذى قـاد جيوش الاحتـلال فى بداية الانتفـاضة وأعطى الأوامـر بكسر عظام أيـدى أطفال الأراضى الفلسطينيـة الذين لم يكن يملكـون شيئا آخر سوى الأحجار للدفاع عن أرض أجدادهم).

ولكن إسحاق رابين، وبكثير من الواقعية، قد فهم (كما حدث للأمريكيين فى فيتنام والفرنسيين فى الجزائر) أن أى حل عسكرى نهائى غير ممكن إذا ما اصطدم الجيش، ليس بجيش آخر، ولكن بشعب بأكمله.

ومن ثم فإنه سار مع ياسر عرفات على طريق الحل الوسط: استقلال ذاتى إدارى لجزء من الأراضى التى شجبت قرارات الأمم المتحدة احتلالها، مع الإبقاء على الحماية العسكرية الإسرائيلية على «المستوطنات» المسروقة من الأهالى الأصليين والتى أصبحت كالخليل معاقل للتعصب والحقد.

ولقد كان هذا كثيرا بالنسبة لهؤلاء المتطرفين الذين كانوا يهتفون ضد رابين ودمغوه «بالخائن».

لقد كان رابين ضحية أسطورة «أرض الميعاد» كما حدث لآلاف من الفلسطينيين، وهى ذريعة ألفية للاستعمار الدموى.

ويدل هذا الاغتيال المتعصب مرة أخرى على أن السلام الحقيقى بين دولة إسرائيل تعيش فى سلام داخل الحدود التى رسمها التقسيم فى عام ١٩٤٧، وبين دولة فلسطينية مستقلة استقلالا تاما، يستلزم تصفية المستوطنات التى تشكل داخل الدولة الفلسطينية المقبلة، مصدرا للإثارة وقنابل موقوتة لحروب جديدة .

●●●

٢ - أسطورة
«الشعب المختار»

«كذا قال الرب:

إسرائيل ابنى البكـــر »

سفر الخروج : ٤ - ٢٢

●●●

القراءة المتطرفة للصهيونية السياسية :

● «يمكن توزيع سكان العالم بين إسرائيل وبين الشعوب الأخرى برمتها . فإن إسرائيل هو الشعب المختار: وهو ركن أساسى من أركان العقيدة» .

[المصدر: الحاخام كوهين فى كتابه «التلمود» ، باريس ، ١٩٨٦ ، ص ـ ١٤٠].

هذه الأسطورة هى الإيمان دون أى أساس تاريخى ، بأن الوحدانية قد ولدت مع العهد القديم . وعلى العكس يتضح من التوراة نفسها أن الاثنين اللذين قاما بكتابتها وهما : يهوى وإيلوهى ، لم يكن أى منهما وحدانى : فقد كانا يناديان فقط بتفوق الإله العبرانى على سائر الآلهة ، وغيرته عليهم [سفر الخروج ٢٠ ، ٢ ـ ٥] . ورب مواب : قاموش ، معترف به (سفر القضاة ١١ ، ٢٤ وسفر الملوك الثانى ، ٢٧) مثل «الآلهة الأخرى» (سفر صموئيل الأول ، ٢٧ ، ١٩) .

وقد أضافت ترجمة مجمع الكنائس حاشية جاء فيها : «منذ زمن بعيد ، كان الاعتقاد سائدا فى إسرائيل بوجود آلهة أجانب وقوتهم» . (ص ٦٨٠ ، حاشية د) .

ولم يحدث إلا بعد المنفى ، ولا سيما لدى الأنبياء إن ثبتت الوحدانية ، أى الانتقال من صيغ مثل صيغ سفر الخروج : «لا يكن لك آلهة أخرى تجاهى» (الخروج ، ٢٠ ، ٣) إلى صيغ لا تكتفى بفرض الطاعة ليهوى وليس للآلهة الآخرين وهو ما تكرر فى سفر تثنية

الاشتراع : «لا تتبع آلهة أُخر» (السادس ، ١٤)، وتنادى : «أنا الرب ، لا إلـه غيرى» (اشعيـا ، ٤٥ ، ٢٢) . وهذا التأكيـد الذى لا يقبل الجـدل بشأن الوحدانية يرجع تاريخه إلى النصف الثانى من القرن السادس ق . م (بين ٥٥٠ و ٥٣٩) .

فالوحـدانية فى واقع الأمر هى ثمرة عملية نضج طـويلة للحضارات الكبرى فى الشرق الأوسط ، حضـارة ما بين النهرين وحضارة مصر.

واعتبارا من القـرن الثالث عشر قبل الميـلاد ، أمر الفرعون أخنـاتون بإزالة كلمة «رب» من جميع المعابد . وقد نقلت أنشودته للشمس حرفيا تقـريبا فى المـزمـار ١٠٤ . وكانت الـديـانة البـابليـة فى طريقهـا إلى الـوحـدانية ؛ وفى حـديثـه عن الـرب مـردوك ، عدد المـؤرخ أولبـريت خطوات هذا التحول : «عندمـا تم الاعتراف بأن الآلهة المختلفة ما هى إلا تجليـات لإله واحـد . . لم يبق سـوى خطوة واحـدة لبلوغ نـوع من الوحدانية» .

[المصدر: أولبريت ، الأديان فى الشرق الأوسط ، ص ـ ١٥٩] .

و «الأنشودة البابلية للخلق» (التى يرجع تاريخها إلى القرن الحادى عشر قبل الميلاد) تشهد على هذه «الخطوات الأخيرة» : «إذا كان البشر قد انقسمـوا حول الآلهة ، فبـالنسبة لنا ، وبكل الأسمـاء التى سميناهـم بها ، فإنه هو ربنا» .

وقـد بلغ هذا الـدين تلك الـدرجة من السـريـرة حيث تظهر صـورة العادل المتألم :

«أود أن أمدح رب الحكمـة . . فإن الإله قـد تخلى عنى . . . وكنت أظن إننى فى خدمة الرب، ولكن المقـادير الإلهية، فى قاع اليم، فمن يفهمها؟ .

فمن هو إذن، إن لـم يكن مردوك، هو رب البعث» .

[المصدر: المرجع السابق، ص ٣٢٩ـ٣٤١] .

أما صورة أيوب، فهـى سابقة عليها بعدة قرون. وثمـة صورة مماثلة للعادل المتألـم، وهى صورة دانيل (وهى غير ما جاء فى التوراة العبرية) الذى عاقبه الرب وأعاده إلى الأرض، موجودة فى النصوص الأوغاريتية فى رأس شمراء، التى سميت «التوراة الكنعانيـة» وهى سابقة على توراة العبرانيين لأن حزقيال يستشهد بـدانيل بجانب أيوب (حزقيال ١٤، ١٤ و ٢٠) .

وتلك مقـولات لا يتفـوق معنـاهـا الـروحى أبـدا على الفحص التاريخى .

وتلك على سبيل المثـال الحال مع المقـولـة الرائعـة بشأن مقاومـة الاضطهاد والتحـرر التى وردت فى سفر الخـروج. ولا يهم فى شىء إلا يعتبر «عبـور بحر البـوص بمثابة حـدث تاريخى»، كمـا يقـول مـرشيا إيلياد [١]، وهو لا يخص كافة العبـرانيين، بل بعض المجموعات من الهاربين .

---

(١) مرشيا إيلياد، «تاريخ العقائد والأفكار الدينية»، الجزء الأول ص ١٩٠ .

ولكن من المهم أن يرتبط الخروج من مصر، وفى هذه الصيغة الفخمة، بالاحتفال بعيد الفصح . .

بعد تفعيله و إدماجه فى التاريخ المقدس ليهوى (٢) .

وابتداء من عام ٦٢١ قبل الميلاد، كان الاحتفال بالخروج يكتسى طابع الشعائر الزراعية الكنعانية لعيد الفصح فى الربيع : عيد بعث أدونيس. ومن ثم أصبح الخروج هو الصك المؤسس لنهضة شعب انتشله ربه من العبودية .

وتوجد التجربة الإلهية لانتشال الإنسان من عبوديته القديمة لدى مختلف الشعوب : فالتيهان الطويل فى القرن الثالث عشر لقبيلة الازتيك «مكسيكا» التى لم تصل بعدما يزيد على القرن من المحن إلى الوادى إلا تحت إمرة ربها الذى فتح أمامها الطريق. وهو ما حدث كذلك بالنسبة للأسفار المُسارية نحو الحرية للقادرية الإفريقية .

وقد ارتبط استقرار القبائل الرُّحَّل أو المتجولة وخاصة فى الشرق الأوسط، بهبة الأرض الموعودة بواسطة إله من الآلهة .

وثمة أساطير حفَّت بمسيرة الإنسان طوال حياته، مثل الطوفان، الذى عاقب به الرب أخطاء الإنسان وأعاد بدء خلقه، فهو موجود فى كل الحضارات منذ جلجاميش وحتى بوبول فوه من قبائل المايا .

وقد ولدت أناشيد مدح الرب فى جميع الأديان، مثل المزامير

(٢) المرجع السابق، ص ـ ١٩١ .

المؤلفة على شرف باشاماما ، آلهة أو إله قبائل ألانكا .

فإذا لم يقف التعصب الاثنى حائلا ، فلماذا لا نطرح حول هذه النصوص المقدسة ، التى تعتبر بالنسبة لكل شعب من الشعوب بمثابة «العهد القديم» ، نقاشا لاهوتيا بشأن فترات اكتشاف معنى الحياة ؟

وحينئذ فقط ، فإن رسالة الحياة وأقوال المسيح ، ستبلغ كونيتها الحقيقية : فهى ستتأصل فى جميع التجارب الإلهية المعاشة ، ولن تتقلص أو حتى تختنق بتقاليد آحادية . إن الحياة الخاصة بالمسيح ورؤيته الجديدة تماما لمملكة الرب ، لن تطمس لصالح مخطط تاريخى يبدأ فقط من وعود النصر المضروبة لشعب ما وحتى تحقيق هذه الوعود .

إننا لم نتحدث هنا إلا عن أديان الشرق الأوسط التى نشأت فى أحضانها الوحدانية ، وتشكل داخلها العبرانيون .

وفى حضارات أخرى ، غير غربية ، فإن المسيرة إلى الوحدانية تعتبر أقدم بكثير.

وعلى سبيل المثال فى الهند فى نصوص الفيدا .

«إن الحكماء يسمون الخالق الوحيد بأكثر من اسم» (أنشودة ريج - فيدا الثالثة ، ٧) .

وفريهاسباتى : «إنه أبانا الذى يحتوى كل الآلهة» (الثالث ، ١٨) .

«تعددت أسماؤه ولكنه واحد» .

فهذه النصـوص المقدسة يتراوح تـاريخها بين القرن السـادس عشر والسادس قبـل ميلاد المسيح ، وكـان الأب مونشـانان يسميهـا «أشعار الطقوس المطلقة» .

[المصدر: جول مونشانان : الحياة الروحية فى الهند ، وخفايا الدين المسيحى . الصفحات ٢٣١ ـ ٢٣٩] .

●●●

٣ ـ أسطورة «يشــوع» :

التطهير العرقى

«واجتاز يشوع وكل إسرائيل معه من لاكيش إلى عجلـون، ونـزلـوا عليها وحاربوها وافتتحوها فى ذلك اليوم وضربوها بحد السيف وأبسل كل نفس فيها فى ذلك اليوم عينه كما فعل بلاكيش.. وصعد يشوع وجميع إسرائيل معه من عجلون إلى حبرون.»

سفر يشوع : ١٠ـ٣٤

القراءة المتطرفة للصهيونية السياسية :

● في ٩ أبـريل ١٩٤٨ ، أباد منـاحم بيجين ومعـه وحدات أرجـون العسكرية ، سكان قرية ديرياسين البالغ عددهم ٢٥٤ نسمة من الرجال والنساء والأطفـــال .

●●●

لن ننقـاش الفصل الخاص بـالحفـريات الأسطـورية في التـاريخ وادعاءات عملية الترقيع التاريخية هذه ، لتبرير سياسة مَّا ، إلا في حالة خاصة هى الاستخدام الذرائعى للـروايات التوراتية ، ، لأنها ما انفكت تلعب دورا حـاسما في مصيـر الغرب بتغطيـة العمليات الـدمويـة منذ اضطهـاد اليهـود من قبل الـرومــان ، ثم المسيحيين ، وحتى الحـروب الصليبيـة ، ومحـاكم التفتيش ، والتحـالفـات المقـدسـة ، والهيمنـة الاستعمـاريـة التى مـارستها « الشعـوب المختـارة » ، وحتى عمليـات الابتزاز التى مارستها دولة إسرائيل ، ليس فحسب بسياستها التوسعية في الشرق الأوسط ولكن بضغوط لـوبياتها ، وخاصة بأقـوى لوبى لها وهى الولايـات المتحدة ، التى تلعب دورا هـاما في سياسـة أمريكـا للسيطرة العالمية والعدوان العسكرى .

هذا هـو السبب في اختيارنـا لهذا الماضى الأسطـورى الذي يـوجه المستقبل نحو ما يمكن أن يكون انتحارا كونيا .

●●●

وتتضمن التوراة، وبما يفوق المذابح التى أمر بها « رب الجيوش »، النبوءات الكبرى لعاموسى وحزقيال وأشعيا وأيوب، وحتى البشارة «بتحالف جديد» مع دانيال.

وهذا التحالف الجديد (العهد الجديد) ينبيء في آن واحد ببدء أكبر تحول في تاريخ الإنسان والأنبياء، بصعود المسيح، وأراد به الله، كما يقول آباء الكنيسة الشرقية : « أن يصبح إنسانا لكى يتمكن الإنسان من أن يصبح إلها ».

ثم كانت العودة مع القديس بولس، بالرؤية التقليدية للرب الأعلى والأقوى، الذى يوجه حياة الناس والطوائف من الخارج ومن أعلى، وليس « بالقانون » اليهودى ، ولكن « بعطية » مسيحية ظاهرها تحطيم مسئولية الإنسان. «فإنكم بالنعمة مخلصون بواسطة الإيمان وذلك ليس منكم إنما هو عطية الله» (رسالة القديس بولس إلى أهل أفسس، الفصل الثاني ، ٨).

إننا لا نعالج التوراة بصفة عامة، وإنما فقط الجزء الذى يدعى النظام الثيوقراطى الإسرائيلى والحركة الصهيونية استلهامه : أى الأسفار الخمسة الأولى : التكوين، والخروج ، والأحبار ، والعدد ، وتثنية الاشتراع ، والملاحق المسماة الملاحق التاريخية وهى سفر يشوع، والقضاة، وصموئيل. فالتوراة اليهودية لا تشكل جزءا من النقد النبوءى الفخيم الذي يذكّر دائما بأن « علاقة الله بالإنسان » مشروطة وعالمية

وأنها مرتبطة بطاعة القانون الرباني وأنها مفتوحة أمام جميع الشعوب وكل الناس.

●●●

وأسفار التوراة والكتب التاريخية هى بمثابة تجميع خطى للتقاليد الشفهية التى جاء بها مؤرخو القرن التاسع ، ونُسَّاخ سليمان الذي كان همهم الأكبر هو إضفاء الشرعية على غزوات داود ومملكته وتفخيمها، والتى مع ذلك لا سبيل هناك للتحقق منها بالمقارنة أو المقابلة التاريخية، أو بالأطلال الأثرية ، ولا بوثائق أخرى سوى الكتابات التوراتية . ويتعلق الحدث الأول الذى أكدته التواريخ الخارجية بسليمان، حيث توجد آثاره في المحفوظات الآشورية.

وإلى هنا، لا توجد أية مصادر خارجية أخرى غير الكتابات الموجودة في التوراة للتحقيق من تأريخيتها.

وعلى سبيل المثال، فإن الآثار الأركيولوجية في حور بالعراق، لا تمدنا بأية معلومات إضافية عن إبراهيم، تماما مثلما أن حفائر أطلال طروادة لا تفيدنا بالجديد عن هكتور وبريام.

وفي سفر « العدد » (الفصل الحادى والثلاثون ، ٧ ـ ١٨).

يقال لنا إن مآثر « بنى إسرائيل »، الذين هزموا المدينين، « فقاتلوا مدين كما أمر الرب موسى وقتلوا كل ذكر» « وسبى بنو إسرائيل نساء مدين » « وجميع مدنهم مع مساكنهم وقصورهم أحرقوها بالنار ».

وعنـدما عـادوا إلى موسى ، « فسخط مـوسى على وكلاء الجيش وقـال لهم مـوسى هل استبقيتم الإنـاث كلهـن ، فـالآن اقتلـوا كل ذكـر من الأطفال وكل امـرأة عرفت مضاجعـة رجل اقتلوها ، وأما إنـاث الأطفال اللواتى لم يعرفن مضاجعة الرجال فاستبقوهن لكم » . (١٤ ـ ١٨) .

وتابـع يشـوع ، خليفة مـوسى ، وفى أثناء غـزوه لكنعان ، وبطـريقة منهجية ، سياسة « التطهير العرقى » التى أمر بها رب الجيوش .

« وفتح يشـوع في ذلك اليـوم مَقيـدة وضـربهـا بحـد السيف وأبسل ملكها وكل الأنفس التى فيها لم يبق باقيا فصنع بملك مقيدة كما صنع بملك أريحا . ثم اجتـاز يشوع وجميع إسرائيل معه من مقيـدة إلى لبنة وحـاربهـا . فأسلمهـا الـرب أيضـا إلى أيـدي إسـرائيل وهى وملكهـا فضربـوها بحد السيف وقتلوا كل نفس فيهـا فلم يُبقوا فيها باقيـا وفعلوا بملكها كما فعلوا بملك أريحا . وجـاز يشوع وجميع إسرائيل معه . من لبنة إلى لاكيش ونـزل عليها وحـاربها . فأسلم الـرب لاكيش إلى أيدى إسرائيل فـافتتحوهـا في اليوم الثـانى وضربـوها بحد السيـف وقتلوا كل نفس فيها كما فعلوا بلبنة . حينئذ صعد هورام ملك جازر لنصرة لاليش فضربـه يشوع هـو وقومـه حتى لم يبق منهم بـاقيا . واجتاز يشـوع وكل إسرائيل معه من لاكيش إلى عجلـون ونزلوا عليها وحاربوهـا وافتتحوها في ذلك اليوم فضربوها بحد السيف وأبسل كل نفس فيها فى ذلك اليوم عينه كما فعل بلاكيش . وصعد يشـوع وجميع إسرائيل معه من عجلون إلى صبرون وحاربوها » .

[المصدر: سفر يشوع، الفصل العاشر، ٣٤-٣٨].

وتستمر هذه الملحمة المملة في سرد وتعداد « عمليات الإبادة المقدسة » التى وقعت في الضفة الغربية.

وينبغى لنا، أمام هذه الأحاديث، طرح سؤالين اثنين أساسيين هما:

١ - الأول بشأن صحتها التاريخية.

٢ - والثانى بشأن عواقب التقليد الحرفى للإشادة. بسياسة الإبادة.

أ) **وعن النقطة الأولى:**

فإننا نصطدم هنا بعلم الآثار. ويبدو أن الحفائر قد برهنت على أن الإسرائيليين الذين وصلوا في نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد، لم يستطيعوا الاستيلاء على أريحا لأنها كانت غير مأهولة في ذلك الوقت. فمدينة عصر البرونز الوسيط كانت قد دمرت نحو ١٥٥٠ ثم هُجرت بعد ذلك. وفي القرن الرابع عشر، سُكنت بصورة ضعيفة، فقد وجدت آنية من الفخار ترجع إلى ذلك العصر داخل مقابر العصر البرونزى الوسيط التى استخدمت مرة أخرى، ومنزل به إبريق صغير يرجع إلى منتصف القرن الرابع عشر. ولا شيء هناك ينتسب إلى القرن الثالث عشر. ولا توجد أية آثار لحصون العصر البرونزى الحديث.

وكانت النتيجة التى توصلت إليها الآنسة ك. م. كينون أنه من

المستحيل ربط تدمير أريحا بدخول الإسرائيليين في نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد.

[المصدر: ك . م : كينون: الحفر في أريحا، لندن، ١٩٥٧، الصفحات ٢٥٦-٢٦٥].

وهكذا الحال بالنسبة للاستيلاء على مدينة عاى. فقد، قامت بعثتان بالحفر والتنقيب في الموقع، وجاءت النتائج متطابقة، وهو أنه لم تكن توجد مدينة وقت قدوم الإسرائيليين، ولم يكن هناك ملك لآي، فقد كانت هناك أطلال تعود إلى ١٢٠٠ سنة.

[المصدر: الأب دى فو: التاريخ القديم لإسرائيل، باريس ١٩٧١، المجلد ١ ص. ٥٦٥].

ب) وعن النقطة الثانية.

لماذا لا يحذو، والحال هذه، أي يهودى متدين ومتطرف (أى متمسك بالقراءة الحرفية للتوراة) حذو هذه الشخصيات الجليلة المتمثلة في موسى ويشوع؟

وألم يذكر سفر العدد، وعندما بدأ غزو فلسطين (كنعان) : «فسمع الرب صوت إسرائيل ودفع إليهم الكنعانيين فأبسلوهم هم ومدنهم» (العدد، الحادى والعشرون، ٣)، ثم وبخصوص الأموريين وملكهم: «فضربه إسرائيل بحد السيف هو وقومه حتى لم يبق منهم أحدا، واستولوا على بلاده.» (العدد، الحادى والعشرون، ٣٥).

ويكرر سفر تثنية الاشتراع : « وإذا أدخلك الرب ، إلهك الأرض التى أنت صائر إليها لترثها واستأصل أمما كثيرة . . فأبسلهم إبسالا (الفصل السابع، ١ ــ ٢) . « فلا يقف أحد بين يديك حتى تفنيهم » (الفصل السابع ، ٢٤) .

ومن شارون إلى الحاخام مائير كاهانا ، فذاك تجسيد للطريقة التى سيتبعها الصهاينة حيال الفلسطينيين .

ألم تكن مسيرة يشوع هى مسيرة مناخم بيجين عندما قضى في ٩ أبريل ١٩٤٨ على سكان دير ياسين ، من الرجال والنساء والأطفال البالغ عددهم ٢٥٤ نسمة ، وقتلهم هو وجنود « الأرجون » لكى يفر العرب العُزّل مذعورين .

[المصدر: مناحم بيجين : العصيان ، تاريخ الأرجون ، ١٩٧٨ ، ص ٢٠٠] .

فهو لم يطلب إلى اليهود ، « ليس فحسب طرد العرب ، بل الاستيلاء على كل فلسطين » .

وألم يكن طريق يشوع هى التى أشار إليها موشى ديان : « فإذا كنا نمتلك التوراة ، وإذا كنا نعتبر أنفسنا شعب التوراة ، فينبغى لنا أن نمتلك كذلك أرضى التوراة »؟

[المصدر: جيروزاليم بوست ، ١٠ أغسطس ١٩٧٧] .

وألم يكن طريق يشوع هو الطريق الذى وضعه يورام بن بورات في الجريدة الإسرائيلية الكبرى أديعوت أحرونوت ، الصادرة في ١٤ يولية

١٩٧٢ : « لا صهيونيـة واستعمار للـدولة اليهـودية بـدون إبعاد العـرب وطردهم والاستيلاء على أراضيهم »؟

أما وسـائل وأساليب هـذا الاستيلاء علـى الأرض فقد حددهـا رابين عندما كان جنرالا على الأراضي المحتلة : تكسير عظام ملقى الأحجار من أطفال الانتفاضة.

فماذا كـان رد فعل المدارس التلمودية في إسـرائيل؟ تسليم السلطة إلى أحد المسئولين المبـاشرين عن مذبحة صبرا وشاتيـلا وهو الجنرال رفـائيل إيتـان الـذى نـادى «بزيـادة تحصين المستـوطنـات اليهـوديـة القائمة».

وبنفس هـذا اليقين، انـدفع الـدكتـور بـاروخ جـولـدشتين، وهـو مستوطن من أصل أمريكى، من قرية أربـه « الضفة الغربية » وقتل أكثر من سبعة وعشرين فلسطينيا وجـرح أكثر من خمسين، وهم يصلون في الحرم الإبراهيمى. كان باروخ عضوا في جماعـة متطرفة تأسست برعاية أريل شـارون (أى تحت حمايـة من قاد مـذابح صبرا وشـاتيلا والـذى كـوفـىء على جـريمتـه بتعيينـه وزيـرا لـلإسكـان، ومكلفـا بتنميـة المستـوطنـات في الأراضى المحتلـة)، وهـو الآن مـوضع تبجيل المتطرفين الـذي يأتون إلى قبره بـالزهور وينحنون لتقبيلـه، فهو الأمين على تقاليـد يشوع الراميـة إلى القضاء على كل شعـوب كنعان من أجل الاستيلاء على أراضيهم.

●●●

وهذا التطهيـر العرقى الـذي يمارس بشكل منتظم في دولـة إسرائيل

اليوم، ينبع من مبدأ النقاء العرقى الذى يمنع امتزاج الدم اليهودى بأى دم دنس من دماء الآخرين.

وفي السطور التى تلى أمر الرب بالقضاء على السكان، يوصى الرب موسى وقومه بألا يزوج شعبه من بنات تلك الشعوب (سفر الخروج، الفصل الرابع والثلاثون، ١٦).

وفى سفر تثنية الاشتراع فإن الشعب المختار (الفصل السابع، ٦) لا ينبغى لـه الاختلاط بالآخرين: « ولا تصاهرهم ابنتك لا تعطها لابنه وابنته لا تأخذها لابنك » (الفصل السابع، ٣).

وهذا الفصل العنصرى هو الطريقة الوحيدة لمنع تدنيس العنصر المختار من الرب، والدين الذى يربطه به.

وظل هذا الانفصال عن الآخر هو القانون. ففى كتابه « التلمود »(١) كتب الحاخام كوهين يقول: يمكن توزيع جميع سكان المعمورة بين إسرائيل والشعوب الأخرى جمعاء. فإسرائيل هو الشعب المختار».

ولم يتقاعس عزرا ونحميا، عقب عودتهما من المنفى، في تطبيق هذا الفصل العنصرى:

فقد بكا عزرا لأن الجنس الطاهر (كذا!) قد اختلط بشعوب البلاد (عزرا، الفصل التاسع، ٢).

---

(١) الحاخام كوهين: التلمود، باريس، ١٩٨٦، صفحة ١٠٤.

وهو الذى أمر بالانتقاء الجنسى وبالتمييز العنصرى : « جميع هؤلاء اتخذوا نساء غريبات وكان منهن من ولدن بنين » (عزرا ، الفصل العاشر، ٤٤). ويقول نحميا عن اليهود : « فطهرتهم من كل غريب » (نحميا، الفصل الثالث عشر، ٣٠).

ومرض الخوف من الاختلاط ورفض الآخر قد تجاوز البعد الجنسى. فرفض دم الآخر بالزواج المختط، يعنى رفض دينه كذلك وثقافته أو طريقة حياته.

وهكذا فإن « يهوى » ينفجر غضبا في وجه من ينحرفون عن الحقيقة، والتى لا يوجد غيرها طبعا : فسوفونيا يقاتل ويحارب كل أشكال الملابس الأجنبية؛ ونحميا ضد اللغات الأجنبية : « وفى تلك الأيا م أيضا رأيت يهودا قد تزوجوا نساء أشدوديات وعمونيات وموآبيات، وكان نصف كلام أولادهم بلغة أشدود ولم يكونوا يحسنون التكلم باليهودية بل بلسان شعب وشعب ، فخاصمتهم ولعنتهم وضربت منهم رجالا ونتفت شعرهم واستحلفتهم بالله أن لاتعطوا بناتكم لبنيهم ولاتأخذوا بناتهم لبنيكم ولا لكم » . (نحميا، ١٣ ، ٢٣ - ٢٥).

ومن يخالف ذلك، يتعرض للمحاكمة القاسية، وتؤكد ربيكا زوجة إسحاق وأم يعقوب : « وقالت رفقة (ربيكا) لإسحاق قد سئمت حياتى من أجل ابنتى حِث فإن تزوج يعقوب بامرأة من بنات حِث مثل هاتين أو من بنات سائر أهل هذه الأرض فمالى والحياة » . (التكوين، ٢٧ /

٤٦). وصاح والدا شمشون فزعا من زواج ابنهما من فلسطينية : « فقال له أبوه وأمه، أليس في بنات إخوتك وفى شعبى كله امرأة حتى تذهب وتأخذ امرأة من الفلسطينيين القُلْفِ: فقال شمشون لأبيه: بل إياها تأخذ لى لأنها حَسُنَت في عينى». (القضاة، ١٤ / ٣).

ويؤكد حاييم كوهين، الذى كان قاضيا بالمحكمة العليا في إسرائيل أنه : « من سخرية الأقدار المريرة أن تستخدم نفس الأطروحات البيولوجية والعنصرية التى روج لها النازى والتى أوحت لهم بقوانين نورمبرج الشائنة، كأساس لتعريف الوضع اليهودى داخل «دولة إسرائيل » (انظر جوزيف بادى، القوانين الأساسية لدولة إسرائيل ، نيويورك، ١٩٦٠، ص ـ ١٥٦).

والواقع أن المسألة قد طرحت أثناء محاكمة مجرمى الحرب في نورمبرج، لدى استجواب منظّر الإجناس جيولوس ستريشر:

« في ١٩٣٥ وأثناء انعقاد مؤتمر الحزب في نورمبرج صدرت القوانين العنصرية». فهل تم استدعاؤك أثناء إعداد مشروع القانون هذا لإسداء المشورة، وهل اشتركت بأى شكل من الأشكال في وضع هذه القوانين ؟.

ورد المتهم ستريشر: أجل ! اعتقد أننى شاركت في ذلك وإننى منذ سنوات وأنا أكتب أنه ينبغى في المستقبل منع أى اختلاط للدم الألمانى بالدم اليهودى. وقد كتبت عدة مقالات في هذا المعنى، وكررت دائما أننا ينبغى أن نأخذ الجنس اليهودى، الشعب اليهودى،

كنمـوذج . وأعـدت في مقـالاتى أن اليهـــود يجب اعتبـارهم كنمـوذج للأجنـاس الأخرى ، لأنهـم يتبعون قـانونا عنصريـا ، هو قانــون موسى ، الـذى يقـول : إذا ذهبـت إلى بلـد أجنبي ، ينبغي لك ألا تأخــذ امـرأة أجنبية» . وهـذا أيها السادة ، على درجة كبيـرة من الأهمية للحكم على قـوانين نـورمبـرج ، فهى قوانيـن يهوديـة أخـذت كنمـوذج . فهى أصل الحفاظ على الهويـة اليهودية التى عاشت طـوال عدة قرون في حين أن الأجناس الأخرى والحضارات الأخرى قد اندثرت » .

[المصدر: محـاكمة كبار مجـرمى الحرب أمام المحكمـة العسكرية الـدولية (نورمبرج : ١٤ نوفير ١٩٤٥ ـ أكتوبر ١٩٤٦ . النص الرسمى باللغة الفرنسية)] .

وهكـذا وضع المشرِّعـون والمستشارون فـي وزارة الداخليـة النازيـة قوانين نـورمبرج ، وحق أهالى الـرايخ ، وحماية الدم الألـمـانى والشرف الألـمانى » .

ويعلق هؤلاء المستشارين والمشرِّعين على هذا قائلين :

« بناء على رغبـة هتلر (الفـوهرر) ، فإن قـوانين نورمبـرج لا تستلزم حقيقـة اتخاذ تـدابير من شأنهـا أن تزيـد من حدة التعصب العنصـرى وانتشاره ، بل على النقيض من ذلك ، فإن مثل هذه التدابير تعنى بداية نوع من الهدوء في العلاقـات بين الشعب اليهودى والشعب الألمانى . وهكذا فإن أشد الصهاينة غلوا لم يظهروا أى نوع من المعارضة ضد روح قوانين نورمبرج» .

وهـذه العنصـريـة ، نمـوذج كل أنـواع العنصـريـة الأخـرى، هى أيديولوجية تستخدم لتبرير هيمنة الشعوب المختلفة.

وأدت الحرفيـة إلى التمادى في المتجـازر التى قام بهـا يشوع: « إن مستوطنـى أمريكا مـن البروتستنت الأطهار، كـانوا في سبيـل الاستيلاء على أراضى الهنـود ومطـاردتهم ، وهـم يتـذرعـون بيشـوع » وعمليـات الإبادة المقدسة » للعمالقة والفلسطينين.

[المصدر: توماس نلسون، « أطهار ماسا شوشتش اليهودية ، المجلد السادس عشر، رقم ٢ ، ١٩٦٧].

وتندرج أيديولوجية « الترنسفير » أى نقل السكان في إطار متوسط بين الإبـادة الكنعانيـة والخوف من الاختـلاط ، وتسانـدها الآن غـالبية حاخامات يهودا وسامرا. وتقوم هـذه السياسة على أساس قراءة متطرفة للنصـوص المقدسـة ، مثل الخطـاب المـوجه من الأحبـار إلى اليهـود يستحلفونهم فيها عدم ممـارسة اختلاط الأجناس (الأحبـار ١٩ / ١٩). وأمرهـم بـالتمييز بين الدم الطاهر والـدم الدنس (الأحبـــار ٢٠ / ٢٥)، والذى ميّز بين إسرائيل والشعوب الأخرى (الأحبار ٢٠ / ٢٤)، وذلك من أجل ممارسة التميز العنصرى (الخروج ٨ / ١٩).

وهكذا لـم يتـورع الحاخـام الأكبر سيترِوك أن يقـول عام ١٩٩٣ دون رادع أو وازع من أى جهة من الجهات:

« أود ألا يتزوج الشباب اليهود أبدا إلا من شابات يهوديات ».

وهكذا فإن إسرائيل « المقدسة » (الأحبار ٢٠ / ٢٦) ينبغى ألا تتدنس

(عزرا : ٩ / ١١) بالاتصال بشعوب أخرى التى مقتها الرب (الأحبار ، ٢٠ / ٢٣).

وتكرر هذا المنع مرارا وتكرارا .

« ولا تصاهرهم ابنتك لا تعطها لابنه وابنته لا تأخذها لابنك ، لأنه يغوى ابنك عن اتباعى . . ». (تثنية الاشتراع ٧ / ٣ ــ ٤). « ولكن إذا ارتددتم واختلطتم ببقية هؤلاء الأمم (الشعوب الكنعانية)، الذين بقوا معكم وصاهرتموهم ودخلتم بينهم ودخلوا بينكم ، فاعلموا أن الرب إلهكم لا يعود يطرد أولئك الأمم من وجهكم بل يصيرون لكم وهقا ومعثرة وسوطا على جنوبكم وشوكا في عيونكم حتى تضمحلوا عن هذه الأرض الصالحة التى أعطاكم الرب إلهكم ». (سفر يشوع، ٢٣ / ١٢ - ١٣).

وفى ١٠ نوفبر ١٩٧٥ ، وفى جلسة عامة ، اعتبرت منظمة الأمم المتحدة أن الصهيونية شكل من أشكال العنصرية والتمييز العنصرى .

ومنذ انهيار الاتحاد السوفيتى ، وضعت الولايات المتحدة يدها على الأمم المتحدة وحصلت فى ١٦ ديسمبر ١٩٩١ ، على قرار بإلغاء القرار العادل الصادر في سنة ١٩٧٥ . مع أن الحقائق تثبت أن لا شيء قد تغير منذ ١٩٧٥ ، فقد اتخذ بالأحرى قمع الشعب الفلسطينى واستعماره و إبادته الجماعية البطيئة ، أبعادا أوسع لم يسبق لها مثيل .

●●●

ثانيـــا

أساطير القرن العشرين

١ـ أسطورة معاداة الصهيونية للفاشية

في عام ١٩٤١ ، اقترف إسحاق شامير « جريمة لاتغتفر من الناحية الأخلاقيـة ، فقد دعـا إلى التحالف مع هتلـر ومع ألمانيـا النازيـة ضد بريطانيا» .

(بن زوهار، بن جوريون، النبي المسلح، باريس، ١٩٦٦ ، ص ـ٩٩) .

عنـدمـا بـدأت الحـرب ضـد هتلـر، وقفت الغـالبيـة العظمى من المنظمات اليهـودية إلى جـانب الحلفاء ، بل إن غـالبية زعمـاء اليهود ومنهم حاييـم وايزمان ، اتخذوا موقفـا مساندا للحلفاء ، إلا أن الجماعة الصهيونيـة رغم أقليتها في ألمانيـا آنذاك اتخذت سيـاسة مخالفـة منذ ١٩٣٣ وحتى ١٩٤١ ، وتــواطأت بل وتعــاونت مع هتلــر. وكــانت السلطات النازية ، وفي الوقت الذى كـانت تضطهد فيه اليهود بطردهم من الـوظائف العـامة على سبيل المثـال في مـرحلة أولى ، تتحـاور مع القادة الصهاينة الألـمان ومنحتهـم معـاملة تفضيلية بتمييزهم عن اليهود من ذوى النزعة المتطرفة الذين كانت تطاردهم .

ولا ينصب الاتهـام بـالتواطـؤ مع السلطـات النـازية على الغـالبيـة العظمى من اليهود ، بل إن بعضهم لـم ينتظر الحرب العـالمية لمكافحة الفاشيــة بالسلاح في إسبـانيا من ١٩٣٦ إلى ١٩٣٩ في صفـوف الفرق الدولية . وأنشأ بعضهم في جيتو وارسو «لجنة الكفاح اليهودية » وماتوا وهم يحاربون .

ولكن هذا الاتهام ينطبق على الأقلية التى كانت منظمة تنظيما جيدا والمكونة من القادة الصهاينة الذين كان همهم الوحيد إنشاء دولة يهودية قوية .

وكان اهتمامهم الوحيد بإنشاء دولة يهودية قوية وحتى رؤيتهم العنصرية للعالم، قد جعل عداوتهم للإنجليز أشد من عداوتهم للنازية .

وبعد الحرب، أصبحوا ، كمناحم بيجين أو إسحاق شامير، قادة الصدارة في دولة إسرائيل .

●●●

وبتاريخ ٥ سبتمبر ١٩٣٩ ـ أى بعد يومين من إعلان إنجلترا وفرنسا الحرب على ألمانيا، كتب حاييم ويزمان رئيس الوكالة اليهودية إلى تشمبرلين، رئيس وزراء صاحب الجلالة ملك إنجلترا ، خطابا يبلغه فيه : إننا نحن اليهود في جانب بريطانيا العظمى وسنحارب من أجل الديموقراطية » .

مشيرا إلى أن « المفوضين عن اليهود على استعداد فورى لإبرام اتفاق للسماح باستخدام كل قواهم وعدتهم من الرجال ومهاراتهم التقنية ومساعداتهم المادية وكل قدراتهم » . وقد نشر هذا الخطاب في « الجويش كرونيكل » يوم ٨ سبتمر ١٩٣٩ ، وهو يعتبر بمثابة إعلان

حرب صريح من العـالم اليهودى ضد ألمانيا . وقد طـرح هذا الخطاب مشكلـة احتجاز كل اليهـود الألـمان في معسكـرات الاعتقال بـوصفهم «رعـايا شعب في حـالـة حرب مـع ألمانيـا » كمـا فعل الأمريكـان مع مواطنيهم من أصل يابانى عشية دخولهم الحرب مع اليابان .

●●●

ولقـد بـرهن الـزعمـاء الصهـاينـة ، في عصـر الفـاشيـة الهتلـريـة والموسـولنية ، على سلوك غامض ومشبـوه بدءا من عرقلة الكفـاح ضد الفاشية وحتى محاولة التعاون .

فالهدف الأسـاسى للصهاينة لم يكن إنقاذ حيـاة اليهود ولكن إنشاء دولـة يهوديـة في فلسطين . وقـد أعلن أول رئيس لـدولة إسـرائيل ، بن جوريون ، ودون مـواربة ، في ٧ ديسمبر ١٩٣٨ ، أمام القـادة الصهاينة من « العمال » : لـو كنت أعلم أنه من الممكن إنقاذ كل أطفال ألمـانيا بإحضـارهـم إلى إنجلتـرا ، أو إنقـاذ نصفهـم فقط بنقلهم إلى إسـرائيل الكبرى ، لاختـرت الحل الثاني . لأننـا يجب أن نحرص ليس فحسب على حياة هؤلاء الأطفال ، بل وعلى تاريخ شعب إسرائيل أيضا » .

[المصدر : إيفـون جلبنير، السياسيـة الصهيونيـة ومصير اليهوديـة الأوروبية، القدس، المجلد الثاني عشر، ص ـ ١٩٩] .

« لم يكن إنقاذ يهود أوروبا على رأس أولويات الطبقة الحاكمة ، بل كان تأسيس دولة هو الأمر المهيمن في نظرهم » .

[المصدر : توم سيجيف ، المليون السابع ، باريس ١٩٩٣ ، ص ـ ٥٣٩] .

وهذا التعصب يوحى بموقف الوفد الصهيونى في مؤتمر إيفيان ، في يوليه ١٩٣٨ ، حيث اجتمعت ٣١ دولة لمناقشة استيعاب لاجئى ألمانيا النازية . فقد طالب الوفد الصهيونى وكحل وحيد ممكن ، بقبول مائتى ألف يهودى في فلسطين .

لقد كانت الدولة اليهودية بالنسبة لهم أهم من حياة اليهود .

إن العدو الرئيسى بالنسبة لزعماء الصهاينة هو ذوبان اليهود وتمثلهم في مجتمعاتهم . وهم يلتقون في ذلك مع الفكر الأساسى لأى عنصرية ، بما في ذلك العنصرية الهتلرية ، وهو نقاء الدم . ولهذا السبب ، وطبقا لمعاداة السامية المنظمة التى دفعت زعماء النازية إلى مطاردة كل اليهود من ألمانيا ثم من أوروبا عندما سيطروا عليها ، فإن النازيين اعتبروا الصهاينة بمثابة السند لهم لأنهم يخدمون هذا المخطط .

وهناك قرائن تدل على هذا التواطؤ . فقد وجه الاتحاد الصهيونى الألمانى إلى حزب النازى مذكرة في ١ ـ يونيه ١٩٣٣ ، أعلن فيها ما يلى :

« بتأسيس دولة جديدة ، أعلنت مبدأ الجنس ، نأمل أن تتواءم طائفتان مع الهياكل الجديدة . . . وإن اعترافنا بالجنسية اليهودية

يسمح لنا بإقامة علاقات واضحة وصادقة مع الشعب الألمانى وحقائقه القومية والعنصرية. وذلك لأننا لا نود أن نقلل من قدر المبادئ الأساسية ، ولأننا أيضا ضد الزيجات المختلطة . . فاليهود الواعون بهويتهم والذين نتحدث باسمهم ، يستطيعون أن يجدوا مكانا لهم داخل هياكل الدولة الألمانية ، لأنهم قد تحرروا من الشعور بالحقد والضغينة الذى يعانى منه اليهود الذين تمثلتهم المجتمعات الموجودين بها؟ . . إننا نعتقد في إمكانية العلاقات المخلصة بين اليهود الواعين بطائفتهم وبالدولة الألمانية .

ولبلوغ هذه الأهداف العملية ، تأمل الصهيونية في أن تتمكن من التعاون حتى مع حكومة معادية تماما لليهود . . فإن تحقيق الصهيونية لا يضيره حقد اليهود في الخارج ، وعدائهم للتوجه الألماني الحالى . والدعاية للمقاطعة ــ والموجهة حاليا ضد ألمانيا ـ هى في جوهرها ليست صهيونية .

[المصدر: لوسى داووفيش ، قارئ للهلوكوست ، ص ١٥٥] .

وأضافت المذكرة : وإنه في حالة موافقة الألمان على هذا التعاون ، سيسعى الصهاينة بكل جهدهم إلى تحويل اليهود في الخارج عن المناداة بالمقاطعة ضد ألمانيا .

[المصدر لوسى داووفيش ، الحرب ضد اليهود (١٩٣٣ ـ ١٩٤٥) لندن ، ١٩٧٧ ، الصفحتان ٢٣١ ، ٢٣٢] .

رحب الزعماء الهتلريون بتوجهات قادة الصهاينة الذين يتفقون معهم في التخلص من اليهود من أجل همهم الوحيد بإنشاء دولتهم في فلسطين. وكتب المنظِّر النازى الرئيسى الفريد روزنبرج : ينبغى مساندة الصهيونية بكل قوة حتى يتسنى نقل مجموعة من اليهود الألمان سنويا إلى فلسطين.

[المصدر أ. روزنبرج : مسار اليهود على مدار الزمن ، ميونخ، ١٩٣٧ ، ص ١٥٣].

وكتب رينهارت هيدريش في عام ١٩٣٥ : يجب علينا أن نقسم اليهود إلى فئتين : الصهاينة ومؤيدى الاستيعاب في المجتمعات الأخرى. فالصهاينة ينادون بمفهوم عنصرى بحت ، وبالهجرة إلى فلسطين، يساعدون على بناء دولتهم اليهودية الخاصة بهم.. ولهم تمنياتنا وإرادتنا الرسمية .

[المصدر : هوهن : جمعية رأس الميت، ص ٣٣٣].

وكتب مولاو شوانت إلى وزارة الداخلية : ليس هناك من الأسباب ما يدعو إلى عرقلة النشاط الصهيونى في ألمانيا بواسطة أى إجراءات إدارية ، لأن الصهيونية لا تتعارض مع برنامج الاشتراكية القومية (النازية) التى هدفها هو إبعاد يهود ألمانيا تدريجيا .

[المصدر : الخطاب رقم ٢١ - ٨٣ ZU ، المؤرخ في ٢٨ / ٨ / ١٩٣٥].

وقد طبقت هذه الأوامر بحذافيرها لتأكيد الإجراءات السابقة .

وبفضل هـذا المركـز التفضيلى للصهيونيـة في ألمانيـا النازيـة، كتب الجيستابو البـافارى إلى البوليس في ٢٨ ينايـر ١٩٣٥، هذا المنشور: «ينبغى ألا يعامل أعضـاء المنظمة الصهيونية وبسبب نشاطهـم الموجه نحـو الهجـرة إلى فلسطين، بنفس الصـرامـة الـواجبـة حيـال أعضـاء المنظمات اليهودية الألمانية».

[المصدر: كورت جروسمان، «الصهاينة وغير الصهاينة في ظل القانون النازى في الثلاثينات» المجلد الرابع، ، ص ٣١٠].

« لقد كـان وجود المنظمـة الصهيونيـة ليهود ألمـانيا وجـودا قانـونيا وشرعيـا حتى عام ١٩٣٨، أى بعـد مضى خمس سنوات علـى اعتلاء هتلـر الحكم. . واستمـرت صحيفـة الصهاينـة الألمـان تصـدر حتى ١٩٣٨».

[المصدر: ليوبوفيتش، إسرائيل واليهودية، ١٩٩٣، ص ١١٦].

وفي مقابل الاعتراف الـرسمى بالزعماء الصهـاينة بوصفهم الممثلين الـوحيـدين للطـائفة اليهـوديـة، فقـد عـرضـوا القيام بكسـر الحصـار والمقاطعة التى كان أعداء الفاشية في العالم يحاولون فرضهما.

وابتـداء من ١٩٣٣، بـدأ التعاون الاقتصـادى : وأنشئت شـركتـان هما : شركة هعفرا، في تل أبيب، وشركة يالترو، في برلين.

وكانت آلية العمليـة على النحو التالى: يودع أى يهـودى يرغب في الهجـرة، في بنـك فـاسـرمـان فـي بـرلين، أو فى بنك فـاربـورج في

هامبـورج، مبلغا لا يقل عن ١٠٠ جنيه استرلينى وبهـذا المبلغ يشترى المصـدرون اليهود بضـائع ألمانيـة وجهتها فلسطين، ومع دفع القيمـة المقابلـة بالجنيهـات الفلسطينية ، ولحسـاب شركة هعفـرا، في البنك الإنجلو فلسطينى في تل أبيب. وعندمـا يصل المهاجر إلى فلسطين، يتسلم ما يعادل المبلغ الذى أودعه في ألمانيا.

وقد شـارك عـدد كبير من رؤسـاء وزراء إسـرائيل فـي هـذه العمليـة ولا سيما بن جوريون وموشى شاريت (الذي كان يسمى حينذاك موشى شرتوك) وجولدا مائير التى ساندتها انطلاقا من نيويورك، وليفى أشكول الذى كان هو الممثل في برلين.

[المصدر: « بن جوريون وشرتوك »، ص ٢٩٤].

ولقد كـانت العملية مربحة بـالنسبة للطرفين: فقـد نجح النازى في تحطيم الحصـار (ونجح الصهـاينـة في بيع بضـائع ألمـانيـة حتى في إنجلترا)، وحقق الصهاينة هجرة « انتقائية » كما أرادوها: فالمليونيرات وحدهم كان بوسعهم الهجرة (والتى كانت رؤوس أموالهم تسمح بتنمية الاستيطان الصهيـونى في فلسطين). وطبقا لأهـداف الصهيونيـة، فقد كان الأهم هو إنقاذ رؤوس الأموال اليهوديـة من ألمانيا النازية لكى تتاح لها توسيع عـمليتهـا، وإن حياة اليهود المعدمين أو غيـر القادرين على العمل أو على الحرب، ما هى إلا عالة وعبء ثقيل.

ودامت سياسـة التعاون هذه حتى ١٩٤١ (أى طوال ٨ سنـوات بعد وصول هتلر إلى السلطة). وكان إيخمان هو همزة الوصل مع كاستنر.

فقد كشفت محاكمة إيخمان، وفى جزء منها على الأقل، عن آليات هذا التواطؤ « والمبادلات » بين اليهود الصهاينة « المهمين » بالنسبة لإنشاء الدولة اليهودية (شخصيات غنية، تقنيون، شبان قادرون على تعزيز الجيوش . . . إلخ) وبين كتلة من اليهود أقل نفعا ومتروكة في يد هتلر.

وأعلن رئيس هذه اللجنة إسحاق جرونبوم في ١٨ يناير ١٩٤٣ : الصهيونية مُقدمة على كل شيء . .

« وسيقولون إننى معاد للسامية، وإننى لا أريد أن أنقذ من في المنفى ، وإننى لا أملك قلب يهودى يدشى حار (واليدشى هى لغة يهود أوروبا) » . [. . .] ولندعهم يقولون ما يريدون. ولن أطالب الوكالة اليهودية بأن تخصص مبلغ ٣٠٠٠٠٠ ولا مبلغ ١٠٠٠٠ جنيه استرلينى لمساعدة اليهودية الأوروبية .

وأظن أن من يطالب بمثل هذه الأمور فإنما يقترف إثما ضد الصهيونية » .

[المصدر: جرونبوم : أيام التدمير، ص ٦٨٠].

وقد كان ذلك هو وجهة نظر بن جوريون أيضا : « إن مهمة الصهيوني لا تكمن في إنقاذ « بقية » إسرائيل الموجودة في أوروبا ، ولكن في إنقاذ أرض إسرائيل للشعب اليهودى » .

« واتفق زعماء الوكـالة اليهودية على أن الأقليـة التى يمكن إنقاذها ينبغى أن يتم اختيـارهـا وفقـا لاحتيـاجـات المشـروع الصهيـونى في فلسطين».

[المصدر: توم سجيف، ص ١٢٥، ص ١٥٨].

وقـد حضرحنـا أرنت، أحـد كبار المـدافعين عن القضيـة اليهوديـة بدراسـاته وكتبه، هذه المنـاقشات. وخصها بكتاب هـو: إيخمان في القدس. بيَّن فيه (الصفحات ١٤٣ ــ ١٤١) سلبية بل وتواطؤ المجالس اليهودية التى كان ثلثاها يُدار بمعرفة الصهاينة.

ومن واقع كتاب إيسايا ترونك: « طبقا لحسابات فروديجر، كان من الممكن إنقاذ خمسين في المائة من اليهود إذا كانوا قد خالفوا تعليمات المجالس اليهودية ولم يتبعوها». (صفحة ١٤١).

والأمر الذى له مغزاه هو ما حدث أثناء احتفالات الذكرى الخمسين بانتفـاضة جيتو وارسـو، والذى طلب فيه رئيس دولـة إسرائيل من ليش فـاليزى، رئيس بـولندا، ألا يعطى الكلمـة لماريك إيـدلمان، الـرئيس المساعد لهذا العصيان وأحد الذين نجوا ومازالوا على قيد الحياة.

فقـد أجرى مـاريك ايدلمـان فعـلا مقابلـة آدوار التير من صحيفـة هـارتس الإسرائيليـة فى ١٩٩٣، ذكّر فيهـا بمن كانـوا هم المحرضـون الحقيقيـون وإبطال اللجنـة اليهـوديـة للكفاح في جيتـو وارسـو، وهم

الاشتراكيـون من البـوند والمعـادون للصهيونيـة ، والشيوعيـون ، وأتباع تروتسكى ، من أمثال ميخائيل روزنفلد ومالازيمتبوم ، مع أدلمان وأقلية من صهاينة اليسار في بوعالى زيون أو هاشومر هتزائير.

فقد ناضل هؤلاء ضد النازية بالسلاح كما فعل اليهود المتطوعون مع الفرق الدوليـة في إسبانيا وفرنسا ، أثناء الاحتـلال ، والأعضاء اليهود في اليد العاملة المهاجرة .

ويحكى ناحوم جولدمان ، رئيس المنظمة الصهيونية العالمية « ثم » «المجلس اليهودى العـالمى » ، في سيرته الـذاتية ، مقابلته المأسـاوية مع وزيـر الخارجيـة التشيكى إدوار بينيس فى ١٩٣٥ ، التى عاب فيهـا على الصهاينـة كسرهم لحصار هتلـر بواسطة شـركة هعفرا (واتفـاقات النقل) ورفض المنظمـة الصهيـونيـة العـالميـة تنظيم المقـاومـة ضـد النازية .

« لـم أشعر في حياتى بالأسى والخـزى في أى مقابلة من المقابلات العديدة التى أجريتها ، إلا خـلال هاتين الساعتين . لقد أحسست بكل شعرة في جسمى أن بينيس كان على حق » .

[المصدر : ناحوم جولدمان ، السيرة الذاتية ، الصفحات ١٥٧ ـ ١٥٨] .

«وقد استقبل مـوسولينى وايزمـان في ٣ يناير ١٩٢٣ ومـرة أخرى في ١٧ سبتمبـر ١٩٢٦ ؛ وتحـدث نـاحـوم جـولـدمـان رئيس المنظمـة الصهيونية العالمية مع موسولينى في ٢٦ أكتوبر ١٩٢٧ ، الذى قال له :

سأساعدكم في إنشاء هذه الدولة اليهودية ». (جولدمان، السيرة الذاتية، ص ١٧٠).

وقد بلغت سياسة التواطؤ هذه ذروتها في عام ١٩٤١ عندما اقترفت مجموعة من غلاة الصهاينة المتطرفين، وهى مجموعة «ليحى» (المحاربون من أجل تحرير إسرائيل) والتى كان يرأسها إبراهام ستيرن، وبعد وفاته ترويكا من بينهم إسحق شامير، « جريمة لا تغتفر من الناحية الأخلاقية وهى المناداة بتحالف مع هتلر، مع ألمانيا النازية، وضد بريطانيا ».

[المصدر: بارزوهار، بن جوريون، المرجع السابق، باريس ١٩٦٦، ص ـ ٩٩].

وكشف أليزرها ليفى، النقابى العمالى المعروف، وعضو كيبوتز يهوى، في أسبوعية « هوتام» التى تصدر في تل أبيب (بتاريخ ١٩ أغسطس ١٩٨٣) عن وجود وثيقة موقعة من إسحق شامير، (الذى كان يسمى حينئذ يزرنيتسكى) وإبراهام شيترن، سلمت إلى سفارة ألمانيا في أنقرة، في الوقت الذى كانت الحرب في أوروبا على أشدها، والتى وطأت فيها قوات روميل أرض مصر، جاء فيها: « من ناحية المفهوم، فنحن نتطابق مع مفهومكم. فلماذا إذن لا نتعاون مع بعضنا البعض؟ ».

ويؤكد أحد الرؤساء التاريخيين لمجموعة « شتيرن »، وهو إسرائيل

الداد، في مقال له نشر في جريدة أديعوت أحرونوت اليومية الصادرة في تل أبيب بتاريخ ٤ فبراير ١٩٨٣، على صحة هذه المباحثات بين حركته والممثلين الرسميين لألمانيا النازية.

وهاك بعض الفقرات الريئسية لهذا النص: « المبادىء الأساسية للمنظمة العسكرية الوطنية في فلسطين (أرجون زفاى ليومى) بشأن حل المسألة اليهودية في أوروبا والمشاركة النشطة للمنظمة في الحرب إلى جانب ألمانيا ». يتبين من أقوال قادة دولة ألمانيا القومية الاشتراكية (النازية) أن الحل الجذرى للمسألة اليهودية يكمن في إجلاء الجموع اليهودية عن أوروبا. وأن هذا هو الشرط الأولي لحل المشكلة اليهودية، ولكن هذا لا يمكن إلا بتوطين تلك الجموع في فلسطين، فى دولة يهودية، وداخل حدودها التاريخية.

وإن حل المشكلة اليهودية بصورة نهائية ، وتحرير الشعب اليهودى، هو هدف النشاط السياسى والسنوات الطويلة لكفاح «الحركة من أجل حرية إسرائيل » (ليحيى) ومنظمتها العسكرية الوطنية في فلسطين. (أرجون زفاى ليومى). وتعترف المنظمة بالموقف المتسامح لحكومة الريخ حيال الأنشطة الصهيونية داخل ألمانيا وبالخطط الصهيونية للهجرة، وأن المنظمة تعرض مشاركتها في الحرب إلى جانب ألمانيا شريطة اعتراف حكومة ألمانيا بالتطلعات القومية لحركة ليحى.

وسيسير تعاون حركة تحرير إسرائيل ، طبقا للبيانات الأخيرة

لمستشار الريخ الألماني التي شدد فيها السيد هتلر على أن أى مفاوضات وأى تحالفات ينبغى أن تساهم في عزل إنجلترا وهزيمتها .

والمنظمة ، بهياكلها ومفهومها للعالم ، مرتبطة ارتباطا وثيقا بالحركات الشمولية الأوروبية » .

[المصدر: النص الأصلي باللغة الألمانية المنشور في كتاب دافيد يزرائيلي : المسألة الفلسطينية في السياسة الألمانية ، من ١٨٨٩ إلى ١٩٤٥ ، ١٩٧٤ ، ص ٣١٥-٣١٧].

وحسب مصادر الصحافة الإسرائيلية ، التى نشرت عشرات المقالات في هذا الموضوع ، فإن النازى لم يأخذ اقتراحات شتيرن ، والسيد شامير وأصدقائه على محمل الجد أبدا .

وقد توقفت المفاوضات بين الطرفين عندما ألقت قوات الحلفاء القبض في يونيه ١٩٤١ ، على مندوب شتيرن وشامير ، وهو نفتالى لوبنتشيك ، داخل مكتب الجهاز السرى النازى في دمشق . وهناك أعضاء في المجموعة واصلوا الاتصالات حتى إلقاء القبض على إسحاق شامير من طرف السلطات البريطانية في ديسمبر ١٩٤١ ، بتهمة « الإرهاب والتعاون مع العدو النازى » .

ومثل هذا الماضى لم يمنع إسحاق شامير من أن يصبح رئيس وزراء وأن يكون اليوم أيضًا رئيسا لمعارضة قوية وأشدها تمسكا باحتلال الضفة الغربية . وفي الحقيقة فإن الزعماء الصهاينة ، رغم مخاصماتهم

الـداخلية، يـواصلـون نفس الهدف العنصـرى : طـرد السكان العـرب الأصليين بـالترويع والاغتصـاب أو النفى ، لكى يظلـوا وحدهـم الغـزاة والأسياد .

لقـد صـرح بن جـوريـون : « إن بيجيـن ينتمى دون شك إلى النمط الهتلرى . فهـو عنصرى على استعداد لإبادة كل العـرب لتحقيق حلمه بتوحيد إسرائيل ، وهو مستعد لإنجاز هذا الهدف المقدس ، باستخدام كل الوسائل» .

[المصدر أ. هـابر، مناجم بيجيـن ، الرجل والأسطورة ، نيـويورك، ١٩٧٩ ، ص ٣٨٥].

ونفس هذا الابن جوريون لم يؤمن أبداً بإمكانية التعايش مع العرب . وكلما قل عدد العرب على تخوم دولة إسرائيل ، كلما كان ذلك أفضل .

وفي عـام ١٩٤٠ ، ولإثارة السخط على الإنجليـز الذين كـانوا قـد قرروا إنقـاذ اليهود المهـددين من هتلر، وذلك بـاستضافتهم في جـزيرة موريشيس ، فإن الباخرة التى كانت تنقلهم وهى ناقلة البضائع الفرنسية « باتريا » ، وعند توقفها في ميناء حيفا يوم ٢٥ ديسمبر ١٩٤٠ ، لم يتردد الزعماء الصهاينة من جماعة الهاجاناه (وكان رئيسهم بن جوريون) في تفجيرها ، مما أدى إلى وفاة ٢٥٢ يهوديا وأفراد طاقم الباخرة الإنجليز.

[المصدر: دكتور هرتـزل روزيلوم، ١٩٥٨ وجويش نيوزلتر نيـويورك، نوفمبر ١٩٥٨].

ويؤكـد يهودا بـاور حقيقة هذا التفجيـر بواسطة الهـاجانـاه ، وعدد الضحايا، في كتابه يهود للبيع .

[باريس ، ١٩٩٦، ص ـ ٨٤].

ومثال آخر، العراق :

لقـد كـانت الطـائفــة اليهـوديـة (١١٠٠٠٠ شخص في ١٩٤٨) متأصلـة في البـلاد تمـامـا . وأعلن حـاخـام العـراق الأكبـر خـدوري ساسون : « لقد تمتع اليهود والعرب بنفس الحقوق والامتيازات منذ ألف سنة ولم يعتبروا أنفسهم عناصر غريبة أو منفصلة عن هذا البلد » .

ثم بدأت التصـرفات الإرهابيـة الإسرائيليـة ، في ١٩٥٠ في بغداد . وأمام إحجـام اليهود العراقيين وتـرددهم في تسجيل أنفسهم على قوائم الهجـرة إلى إسرائيل ، لـم تتـردد الأجهـزة السريـة الإسرائيليـة ومن أجل إقنـاعهم بأنهم فى خطـر، بإلقاء القنـابل عليهم . . وقتل الهجـوم على معبـد « شيم تـوف » ثلاثـة أشخـاص وجـرح العشرات . وهكـذا بـدأ الخروج الجماعى المسمى « عملية على بابا » .

[المصدر : جريدة أديعوت أحرونوت، ٨ نوفبر ١٩٧٧].

وكان الهدف المنشود هو تجميع اليهود في جيتو عالمى .

ولقد أثبتت الـوقائع أن تيـودور هرتـزل كان على حق . وكـان اليهود الصالحـون يرددون كل يوم : « العـام القادم في القـدس » . وجعلوا من القـدس رمزا لتحـالف الـرب مع الإنسان . ولكن « العـودة » لـم تتم إلا بتخويف اليهود من التعرض لخطر أعداء السامية في البلدان الأجنبية .

وفى ٣١ أغسطس ١٩٤٩، وفى حديث موجه لمجموعة من الأمريكيين الذين كانوا في زيارة لإسرائيل، قال بن جوريون: « رغم أننا حققنا حلمنا بإنشاء دولة يهودية ، فإننا ما زلنا في البداية. فلا يوجد في إسرائيل اليوم سوى ٩٠٠٠٠٠ يهودى، بينما غالبية الشعب اليهودى مازالت موجودة في الخارج. ومهمتنا القادمة هى إحضار جميع اليهود إلى إسرائيل ».

وكام هدف بن جوريون هو إحضار أربعة ملايين يهودى في الفترة ما بين ١٩٥١ و ١٩٦١. ولم يحضر سوى ٨٠٠٠٠٠. وفي عام ١٩٦٠، وصل طوال السنة ٣٠٠٠٠ مهاجر فقط. وفي ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦، كانت الهجرة خارج إسرائيل تفوق الهجرة إليها.

وبعض عمليات الاضطهاد الكبرى ، كالتى حدثت فى رومانيا، هى التى كانت وراء « العودة ».

وحتى فظاعة هتلر وأعماله الشرسة لم تنجح فى تحقيق حلم بن جوريون.

فمن بين ضحايا النازية من اليهود الذين التجأوا إلى الخارج بين ١٩٣٥ و ١٩٤٣، ذهب منهم بالكاد نسبة ٨,٥٪ للإقامة في إسرائيل. وحددت الولايات المتحدة استقبالهم بعدد ١٨٢٠٠٠ (أقل من ٧٪)، وإنجلترا بعدد ٦٧٠٠٠ (أقل من ٢ ٪) أما الغالبية العظمى، أى نسبة ٧٥ ٪، فقد لجأت إلى الاتحاد السوفيتى.

[المصدر « معهد الشئون اليهودية » في نيويورك].

وثمة مثال نموذجي للتلاعب بالتاريخ من طرف المؤرخين الرسميين، ورد في كتاب يهودا باور الأخير، وهو عضو بمعهد التاريخ المعاصر لليهود في الجامعة العبرية في القدس. فكتابه عنوانه: يهود للبيع، مع عنوان جانبي: المفاوضات بين النازى واليهود، ١٩٣٣ ـ ١٩٤٥، وصدر في باريس عام ١٩٩٦.

ويدل مظهر الكتاب الخارجى على أنه عمل علمى بما يحتويه من حواشٍ بلغ عددها ٥٢٣ حاشية مرجعية وببليوغرافية وفهارس.. إلخ.

هذا في الظاهر فقط، لأن بعض المصادر التى تعالج الموضوع، والتى لم يستطع المؤلف تجاهلها، مرت مرّ الكرام وفى صمت (ربما لأنها تتعارض مع نظريته التى ترمى إلى إبراز عناية زعماء الصهاينة بانتزاع اليهود الفقراء من براثن هتلر، في وقت كانوا يمارسون فيه نوعا من «الانتقاء»).

والأعمال التى ذكرها المؤلف، تنبع كلها من مؤلفات عائلته الروحية الصهيونية. ولم يشر الكتاب إلى تواطؤ جمعية أرجون تزفاى ليومى مع هتلر في ١٩٤١، الذي اقترحه شامير. وقد وضع باور قائمة بأسماء «المتفاوضين» مع هتلر، وأضاف: «وقد أصبحوا كلهم من الأبطال» أما كل من نادى بمقاطعة هتلر على مستوى العالم، فهم في نظره ليسوا بأبطال!

وغاية الكتاب هى محاولة إخفاء حقيقة أساسية هى أن الشغل الشاغل للزعماء الصهاينة أثناء حكم هتلر، لم يكن إنقاذ اليهود من نار

النازى، بـل وطبقا للمشروع الصهيـونى السيـاسى الذى وضعـه تيودور هرتزل، هو تأسيس « دولة يهودية » قوية.

والموضوع الـرئيسى الثانى للكتاب هو الإيهـام بأن حرب هتلر « هى حرب ضد اليهـود » وليست حربا ضد الشيوعيـة في المقام الأول، مما جعله يـوجه معظم قوته الحـربية تجاه الشرق، والسعى إلى إبـرام سلام منفرد مع الولايات المتحدة بل وحتى مع إنجلترا، لكى يضمن الهيمنة على كل أوروبا دون الحاجة إلى المحاربة على جبهتين.

« إن جميع المـؤرخين يتفقـون على أن هيملـر كـان يفضل سـلامـا منفصلا مع الغـرب حتى يكرس كل قواه ضـد الخطر البلشفى » (ص ـ ١٦٧) « وكـان فـون بوبـن يعتقد اعتقـادا راسخـا في تفـاهـم قـادم مع الولايات المتحدة وألمانيا للـوقف كسد في وجه الشيوعية » (باور، ص ـ ١٨٩).

ولقد كانت « المفاوضات » بين الصهاينة والنازى هدفها بالضبط هو هذا الهدف، وهو ما اضطر باور بالاعتراف به.

« لقد كـان النازى يعرفـون، وعلى النقيض من الروس، أن حكـومة صاحب الجلالة وحكومة الولايات المتحدة لهما من الضعف السياسى ما لا يسمح لهمـا بتحمل أى ضغوط من الضغوط التى يمارسهـا اليهود عليهما ». (باور، ص ـ ٢٦٠).

وفي عام ١٩٤٤، اقتـرح إيخمان على المندوب الصهيونى بـراند،

مبادلة مليـون يهودى مقابل ١٠٠٠٠ شاحنة لاستخـدامها على الجبهة الروسية دون سواها .

وساند بن جوريون وموشى شـاريت (شرتوك) هذا العرض ، ووجه بن جـوريون بـالفعل نـداء شخصيا إلى روزفلت « حتى لا تفلت هـذه الفرصـة الفريـدة وربما الأخيـرة لإنقاذ آخـر يهود أوروبـا » . ولقد كـان الهدف واضحـا : مبادلة اليهود مقـابل معدات إستراتيجية ، بل وإقـامة اتصـالات دبلومـاسية مع الغـرب ، وهى اتصالات قـد تؤدى إلى سـلام منفـرد ، أو حتى إلى حـرب يشتـرك فيهـا الألمـان مع الغـربيين ضـد السوفيت» (باور، ص ـ ٣٤٣) .

وأخفقت هـذه المؤامـرة عنـدما قـام الأمـريكـان والإنجليز بإبـلاغ السوفييت بهذه المسـاومات . ويقول باور فى هذا الصـدد : « لقد كان الدور الأسـاسى لروسيا في المعـركة ضـد ألمانيا النـازية بمثابـة الدعم الجـوهرى لصـلابة مـوقف الحلفـاء . فقد انهـزم الفرمـاخت (الجيش الألمـانى) في روسيا على يـد الجيش الأحمر . وبـدون السوفيت ومـا عانـوه ، وبدون أعمـالهم البطولية ، فإن الحـرب كانت ستـدوم سنوات وسنوات وربما لـم نكسبها » . (باور ص ـ ٣٤٧) .

وعلى كل حال ، فإنـه من البداية وحتى النهـاية ، لـم يفكر الـزعماء الصهاينـة (وهـم الذين تـولوا الحكم في إسـرائيل مثل شامير) إلا في تأسيس دولـة قـويـة في فلسطيـن ، ولم يفكـروا لحظـة واحـدة في المسئوليات التى تقع على عـاتق جماعة المقاومين لهتلـر ، كما لو أن

النازيين لم يكـن لهـم أعداء أو ضحايـا إلا اليهود ، وأن الأمـر لا يعدو سوى إنقاذ اليهود وحدهـم .

وحتى الإنجليـز فقـد انتهى بهم الحـال إلى إظهـار سخطهم لهـذه الرغبـة في تجاهل معـاناة ٥٠ مليـون من ضحايا الهتلـرية ، والمطـالبة بإنقـاذ اليهود دون ســواهـم ولكن ليس كل اليهود بل كل من يقـدر منهـم على بناء دولة قوية في فلسطين .

●●●

٢ ـ أسطورة عدالة نورمبرج

« إن هـذه المحكمة تمثل استمـرارا لجهود حـرب الدول الحليفـة » روبرت جاكسـون النائب العام للولايـات المتحدة (جلسة ٢٦ يوليـــه ١٩٤٦).

في ٨ أغسطس ١٩٤٥ ، اجتمع الـزعمـــاء الأمـريكيـون والإنجليـز والفرنسيـون والروس في لنـدن للاتفاق على « مـلاحقة وتـوقيع العقاب على كبـار مجـرمى الحـرب التـابعين لقـوى المحـور » وذلك بإنشـاء محكمة عسكرية دولية (المادة الأولى، أ).

وقـد صُنّفت الجـرائم في المـادة ٦ من الفصل الثـاني على النحـو التالى :

١ ــ جرائم ضـد السلام ، وهى تتعلق بتحـديـد مسئوليـة من قامـوا بإشعال الحرب .

٢ ـ جرائم الحرب ، وتخص خرق قوانين وأعراف الحروب .

٣ ـــ جـرائم ضـــد الإنســانيـة، وهى الجـرائم المقتـرفـة ضـــد المدنيين . وتشكيل مثل هذه المحكمة يحتاج إلى بعض التعليقات :

أولا ـــ أنهـــا لـم تكن محكمـــة دوليـــة حيث لـم تتشكل إلا من المنتصرين في الحرب، وبالتـالى فإن الجرائم التى كانت ستحجز هى

---

(١) في ١٩١٩ ، كتب الاقتصـادى الشهيـر لـورد أورج كينز يقـول : بمعـاهـدة كهذه، فإن حربا جديدة ستقوم بعد عشرين عاما .

الجرائم التى اقترفها المنهزمون. وهو ما اعترف به النائب العام الأمريكى روبرت جاكسون الذى كان يرأس جلسة ٢٦ يوليه ١٩٤٦، حيث قال: ما زال الحلفاء عمليا في حالة حرب مع ألمانيا. . . وبوصفها محكمة عسكرية، فإن هذه المحكمة لا تمثل سوى استمرارالجهود حرب الشعوب الحليفة».

ـ وعلى هذا فالأمر يتعلق بمحكمة استثنائية تشكل آخر فصل من فصول الحرب، وتنفى من حيث مبدأها، المسئولية عن المنتصرين، وقبل كل شيء مسئوليتهم إشعال الحرب.

ففى نورمبرج لم تطرح مسألة ما إذا كانت معاهدة فرساى، بكل عواقبها، وخاصة تضاعف حالات الإفلاس، وكذلك البطالة، قد أتاحت لشخص كهتلر الوصول إلى الذروة بموافقة غالبية الشعب الألمانى [1]. وعلى سبيل المثال، إجبار ألمانيا المهزومة في ١٩١٨، على دفع ١٣٢ مليار من الماركات الذهب، كتعويضات حرب، في الوقت كانت فيه الثروة القومية لألمانيا تبلغ ٢٦٠ مليار مارك ذهبًا.

وانهار الاقتصاد الألمانى وأصيب الشعب الألمانى بالإحباط من جراء عمليات الإفلاس وتدهور العملة، وخاصة البطالة، مما أدى إلى صعود نجم هتلر بمنحه أسهل المبررات لدعم فكرته الرئيسية وهى إلغاء معاهدة فرساى وما تضمنته من بؤس وإذلال للشعب الألمانى.

وعندما حصل هتلر وأعوانه من السياسيين على الأغلبية المطلقة في الريشتـاخ (البرلمـان الألماني) ، بـدأت إعادة التسلح بمسـاعدة من الشركـات الأمريكيـة والإنجليزية والفـرنسية الكبـرى، ومن بينها شـركة الكمياويـات الإمريكيـة ديبون دى نيمـور وشركـة أمبيريـال كميكالـز، مصرف ديلون في نيويورك الذى قدم الإعانات لصناعة الصلب، وهناك صناعات أخرى مُولت من طرف مورجان أو روكفلر . .

وهكذا شارك الجنيه الإنجليزى والـدولار الإمريكى في المؤامرة التى جاءت بهتلر إلى الحكم .

ولكن مدراء هذه الشركات لم يتم استجـوابهم أمام محكمة نورمبرج في إطار « المؤامرة ضد السلام » .

وكثيـرا مـا ذكرت اللعنـات التى كـان يكيلهـا هتلر وزعمـاء النـازى للشيـوعيين واليهود. وخـاصة مـا جـاء في الفصل الخامس عشـر من الجزء الثاني من « كفاحى » حيث تناول هتلر ماضى حرب الغازات التى شنها الإنجليـز أثناء الحـرب العالميـة الأولى، وهو الفصـل المعنون : «حق الدفاع الشرعى »، والذى أشار فيه هتلر إلى أنه كان من الأدعى له التخلص من عـدة آلاف من اليهـود في الوقت المنـاسب، حتي ينقـذ حياة مليون من الألمان الطيبين والشجعان.

وفي حديث له أمام البرلمان في ٣٠ يناير ١٩٣٩ ، قال كذلك :

« يستطيع اليهـود ان يـواصلوا شن حـرب الإنهـاك في بعض الـدول

حيث تحميهم الاحتكارات والامتيـازات التى يمارسونها على الصحـافة والسينما والدعاية الإذاعية والمسارح والأدب وغيرها. ومع ذلك ، فإذا ما نجح هنـا الشعب مرة ثـانية في دفع مـلايين الأشخاص إلى نـزاع قد يعـود عليهم بالفـائدة ، فإن ذلك سيؤدى إلى ظهـور شجاعـة الحركـة التوضيحية التى سمحت بالقضاء نهائيـا على اليهودية في ألمانيا خلال عدة سنوات ».

وفي ٣٠ ينـاير ١٩٤١ ، قـال هتلر لجمـوع يهود أوروبـا « إن دورهم سيكون قد انتهى بحالة حرب شاملة». وصرح في بيان آخر بتاريخ ٣٠ ينـايـر ١٩٤٢ ، أن الحـرب « ستقضى علـى اليهـوديـة في أوروبـا ». والوصية السياسيـة لهتلر التى نشرتها المحكمة العسكريـة الدولية تعج بهـذه الأراء . فهتلر يتحـدث عن تـدمير « نفـوذ مـا » أمـا هيملر فإنـه يتحدث مباشرة عـن تدمير الأشخاص . فقد قال لجنرالاتـه في ٥ مايو ١٩٤٤ ، في سونتهـوفن، ما يلى : « في هذا النزاع مع آسيـا ، ينبغي لنا أن نعتاد على نسيـان قواعـد اللعبة والأخلاقيـات المتعارف عليهـا أثناء الحـروب الأوروبيـة المـاضية ، رغـم أنها عـزيـزة علينـا وتتنـاسب مع عقليتنا» .

ولكن هذه الوحشية لم تكن من نصيب معسكر واحد .

فقد طلب لكيفتون فاديمان ، محرر مجلـة نيويوركر الأسبوعية ، في

عام ١٩٤٢ إلى الكتاب « خلق روح من الحقد الشديد ضد كل الألمان وليس فقط ضد زعماء النازى ».

وأضاف: والطريقة الوحيدة لكى يفهمنا الألمان هى قتلهم. وحتى بهذا فإنهم لن يفهموا».

وفي شهر أبريل ١٩٤٢، كتب يمتدح كتاب دى سال « إعداد الغد» ويشرح مفهومه العنصرى، فقال: إن العدوان النازى ما هو بفعل مجموعة من الأوغاد ولكن التعبير النهائى عن الغرائز العميقة للشعب الألمانى. وما هتلر إلا تجسيد لقوى أكبر منه ». ووافق على اقتراح هيمنجواى القائل: إن الحل النهائى سيكون هو تعقيم النازى بالمعنى الجراحى للكلمة.

ولم تكن هذه الآراء بالآراء المنفردة فقد نشر الأب ويب في جريدة الديلى هيرالد اللندنية مقالا في أعقاب بيان هتلر في السبور تبالست، جاء فيه: « إن كلمة السر يجب أن تكون « القضاء عليهم »، ومن أجل ذلك تركيز علمنا على اكتشاف مفرقعات جديدة ومخيفة. . ورغم أن رجل الدين لا ينبغى له أن ينزلق إلى مثل هذه العواطف، إلا أننى صراحة لو استطعت، لمحوت ألمانيا من خريطة العالم. إنه جنس شيطانى كان لعنة على أوروبا طوال قرون».

ولحسن الحظ ثارت الاحتجاجات ضد مثل هذه الضلالات في إنجلترا حيث لا يمكن الخلط بين الشعب الإنجليزى وثقافته الرفيعة

وبين زعماء دمـويين ممتلئين بالحقـد والبغضاء، وهو مـا ينطبق أيضا على ألمانيا وشعبها.

ومنذ عام ١٩٣٤، أعلن الـزعيم الصهيونى فلاديمير جـابوتنسكى. «إن مصالحنـا اليهودية تحتم القضـاء النهائى على ألمانيـا، فالشعب الألـمانى في مجموعه يمثل لنا خطرا كبيرا».

وقال تشـرشل من جانبه في ١٦ مـايو ١٩٤٠: «سنجوع ألمانيا. وسندمر مدنها وسنحرق محاصيلها وغاباتها».

[المصدر: بول بودوان، تسعة أشهر في الحكومة، ١٩٤٨، ص-٥٧].

وقال الـوزير البـريطانى اللـورد فانسيتـارت في عام ١٩٤٢، تبسريرا لفظاعة الغارات البريطانية: «إن الألمان الطيبين وحدهم، هـم الموتى الألمان؛ وعلى ذلك، فلتمطر السماء القنابل!».

وكتب تشرشل في يوليه ١٩٤٤ إلى رئيس أركـانه الجنرال هيستنجز، مذكرة من أربع صفحات يقترح عليه فيها المشروع التالى:

«أود أن تفكر جديًا في مسألـة الغازات الخانقة... وأود أن نبحث بهدوء نتائج استخدام الغازات الخـانقة هذه... ولا ينبغى لنا أن نقف مكتوفى الأيدى بسبب مبادىء حمقاء،...».

[المصدر: الإرث الأمريكى - عدد أغسطس - سبتمبر ١٩٨٥].

ولم يقف لا تشـــرشل ولا تـرومـــان ولا ستـالين في قفـص الاتهـام

كمجـرمى حـرب . كما لا يقف المنـادون بأفظع الجـرائم مثل تيـودور كوفمان الأمريكى اليهودى الذى وجـه في ١٩٤٢ نداء بالإبادة الفعلية، ضمن كتـابـه : « يجب إبـادة ألمـانيـا »، قـال فيـه : «إن الألـمـان لا يستحقون أن يحيوا ». وكـذلك ما جاء في نداء الكـاتب السوفيتى إيليا اهربنـورج عام ١٩٤٤ : اقتلوا ! اقتلوا فـلا أبرياء لـدى الألمان، لا بين الأحياء ولا بين من سيولدون ! ».

وهـؤلاء أيضـا لم يقفـوا في قفص الاتهـام ضمـن المتهمين في نورمبرج، كما لم يقف رؤساء دولهم الذين كانوا يحمونهم ويساعدونهم ولا المسئولون الإنجلو ـ أمريكـان عن قصف مدينة درسدن الألمانية، والـذى أسفر عن ٢٠٠٠٠٠ من الضحـايا المـدنيين، وذلك دون أدنى فائدة عسكريـة، لأن الجيش السوفيتى كان قد تجـاوز هذه الأهداف. ولا تـرومان بإلقـائه قنبلتين ذريتين على هيـروشيمـا ونجازاكى ومصـرع ٣٠٠٠٠٠ من الضحايـا المدنيين، دونمـا ضرورة عسكـرية لأن تسليم اليابان كان قد قرره الإمبراطور.

ولا بيريا وستالين، على سبيل المثال، اللذان ألقيا بمسئولية مذبحة كاتين على الألمان، والتى قتل فيها الآلاف من الضباط البولنديين.

لقد كـانت أساليب الإجراءات تنبثق عن نفس المبـادئ (أو انعدام المبادئ) الخاصة باختيار المتهمين من بين المنهزمين وحدهم.

وهكذا جاء النظام الأساسى لهذه المحكمة :

المادة ١٩ : لـن تتقيد المحكمـة بالقواعـد الفنية المتعلقـة بإقـامة الأدلة والبراهين. وهى ستتبع وستطبق بقدر الإمكان إجراءات سريعة.

● المادة ٢١ : لن تطلب المحكمـة تقديم البـراهين على الأعمال ذات الشهرة العامة، وستعتبرها ثـابتة وستعتبر كذلك كبراهين صحيحة الوثائق والتقارير الرسمية الصادرة عن حكومات الحلفاء.

هذا هو الوحش القانوني الذى ينبغي أن تؤخذ قراراته كقاعدة مسلَّم بصحتهـا وكمعاييـر لحقيقة تـاريخية لا يمكن أن يمسهـا إنسان طبقـا لقانون جيسو ـ فابيوس الصادر في ١٣ يوليه ١٩٩٠ (فى فرنسا).

فهـذا النص قـد أضاف إلى قـانـون حـريـة الصحافـة الصـادر في ١٩٨١، المادة ٢٤ مكرر، التى تنص على ما يلى:

« يعاقب بالعقوبات المنصوص عليها في الفقرة السادسة من المادة ٢٤ (وهى بالحبس لمدة تتراوح بين شهر وسنـة واحدة، وبغرامة قدرها من ٢٠٠٠ إلى ٣٠٠٠٠٠ فرنك، أو بإحدى هاتين العقوبتين) كل من ينكر، بإحدى الوسائل المنصوص عليها في المادة ٢٣، وجود جريمة أو أكثـر من الجـرائم ضـد الإنســانية كمـا جـاءت في المــادة ٦ من النظـام الأسـاسى للمحكمة العسكريـة الدوليـة الملحقة باتفـاق لندن بتـاريخ ٨ أغسطس ١٩٤٥، والتى اقترفت سـواء من طرف أعضـاء في منظمة ظهر أنها منظمة إجرامية تطبيقا للمادة ٩ من النظام المذكور، أو سـواء بواسطـة شخص ثبتت إدانتـه في مثل هـذه الجرائم من محكمـة

فرنسية أو دولية .

وللمحكمة أن تأمر كذلك بالآتى :

١ ـ الإعلان عن قرارها بالشروط المنصوص عليها في المادة ٥١ من القانون الجنائى .

٢ ـ نشر هذا القرار أو إدراجه ضمن بيان بالشروط المنصوص عليها في المادة ١ ـ ٥١ من القانون الجنائى ، دون أن تتجاوز مصاريف النشر أو الإدراج الحد الأقصى للغرامة المستحقة » .

ولقد أثارت إجراءات محكمة نورمبرج اعتراضات حتى في صفوف القانونيين الأمركيين وعلى أعلى مستوى ، وهم قضاة المحكمة العليا ، بدءا بالقاضى جاكسون الذى كان رئيسا لمحكمة نورمبرج وفى ذلك يقول المؤرخ الإنجليزى دافيد أرفنج ، : « لقد شعر كبار القانونيين في العالم أجمع بالخجل من إجراءات نورمبرج . ولا شك أن القاضى روبيرت جاكسون ، الرئيس الأمريكى للادعاء ، كان يخجل من هذه الإجراءات . وقد اتضح ذلك من مذكراته الشخصية التى قرأتها .

أما القاضى فينرستروم ، من المحكمة العليا في الولايات المتحدة ، ورئيس إحدى المحاكم فقد أبدى امتعاضه واشمئزازه من جو المحاكمة وموقف المترجمين والمحامين ووكلاء النيابة . . بحيث إنه رفض قبول تعيينه وغادر ألمانيا فجأة وعاد إلى الولايات المتحدة . ونشر في جريدة شيكاغوديلى تريبيون الصادرة في ٢٣ فبراير ١٩٤٨ ،

اعتراضاته على التنظيم والإجراءات .

ووفقا للنظام الأساسي لمحكمة نورمبرج الذي ينص على أن تقارير لجان تفتيش الحلفاء تعتبر من القرائن ، فقد ووفق على التقرير السوفيتي بشأن كاتين ، والذي يتهم الألمان بقتل ١١٠٠٠ ضابط بولندي ، « كدليل إثبات صحيح » ، ولا يناقش من طرف المنتصرين .

وفي ١٣ أبريل ١٩٩٠ ، أعلنت الصحافة الدولية أن جريمة كاتين كان مدبرها بيريا والسلطات السوفيتية .

ولكي لا نحيد عن موضوعنا الأصلي : « الأساطير المؤسسة لدولة إسرائيل » ، سنعكف على بحث إحدى الأكاذيب التي سببت حتى الآن وبعد مضي ما يزيد على نصف قرن ، أضرارا شديدة في عالمنا الحاضر ، وهي أسطورة الستة ملايين من الضحايا اليهود ، والتي أصبحت عقيدة تبرر وتضفي القداسة (وكما تقتضيه عبارة الهولوكوست) على انتهاكات وابتزازات دولة إسرائيل في فلسطين ، وفي كل الشرق الأوسط ، وفي الولايات المتحدة ، وفي كل السياسة العالمية ، بوضعها فوق كل قانون دولي .

ولقد اعتمدت محكمة نورمبرج هذا الرقم رسميا ، وهو الأمر الذي ما انفك يستخدم منذ ذلك الحين للتلاعب بالرأي العام في الصحافة ، المكتوبة والمقروءة ، وفي الأدب والسينما ، وحتى في الكتب المدرسية .

غير أن هذا الـرقم لا يستند إلا إلى شهادتين : شهادة هـوتل وأخرى لويزليسنى (وهما من ضباط الأمن النازيين) وهاك ما أعلنه الأول :

« في أبريل ١٩٤٤ ، جرى حديث بينى وبين أدولف إيخمان الذى كنت أعرفـه منذ ١٩٣٨ ، وذلك في شقتى ببودابست . . . وكـان يعرف أنه يعتبر من مجرمى الحرب من طرف الحلفاء لمسئوليته عن قتل آلاف اليهـود. وطلبت منـه كم كـان عددهم، فـأجابنى رغـم سريـة العـدد الشديـدة، إنه طبقـا للمعلومـات التى يمتلكها فقد وصـل إلى النتيجة التالية : نحـو ٤ ملايين يهودى قتلوا في مختلـف معسكرات الاعتقال، كما أن هناك مليونين ماتوا بوسائل أخرى » .

[المصدر: محاكمة نورمبرج، المجلد الرابع، ص ٦٥٧].

وأعلن الثاني :

« كان إيخمان يقول إن شعوره باقترافه مصرع خمسة ملايين شخص هو مصدر لسعادته ورضاه » [المصدر السابق].

وهـاتان الشهـادتان ، كمـا يقـول موليـاكوف نفسـه : « من الممكن الاعتـراض على هذا الـرقم الـذى لا سند لـه كمـا يمكن اعتباره رقمـا مشبوهـا » .

[المصدر: مجلة تاريخ الحرب العالمية الثانية، أكتوبر ١٩٥٦].

وتـذكر الصحيفـة العبريـة الصادرة في نيـويورك بتـاريخ ٣٠ يونيـه ١٩٦٥ إنه في ذلك التاريخ، كان هناك ٣ ملايين و ٣٧٥٠٠٠ شخص

قد قدموا طلبات للحصول على « تعويضات » نظير الخسائر التى تكبدوها إبان سيطرة هتلر. ونضيف أن الشهادة الرئيسية، وهى الشهادة الأكمل والأدق، كانت شهادة هوتل، عميل المخابرات.

[المصدر: المجلة الإنجليزية ويك اند، ٢٥ يناير ١٩٦١].

وتأكيدا منا لاعتراضات كبار القانونيين في المحكمة العليا للولايات المتحدة وغيرهم، على التشوهات القانونية لمحكمة نورمبرج، فسنذكر هنا فقط وعلى سبيل المثال، انتهاكات القواعد الثابتة لإجراءات أى قضية حقيقية:

١ ـ إقامة الدليل على صحة النصوص المقدمة والتحقق منها.

٢ ــ تحليل قيمة الشهادات والظروف التى تم في ظلها الحصول عليها.

٣ ـ البحث العلمى لسلاح الجريمة لإثبات استخدامه وآثاره .

أ ـ النصـــوص :

تتألف النصوص الأساسية، والتى تعتبر حاسمة للتدليل على «الحل النهائى » من أوامر الإبادة التى تنسب إلى كبار المسئولين: هتلر وجورنج وهيدريش وهيملر، والتوجيهات الصادرة لتنفيذها.

أولا: توجيهات هتلر بشأن الإبادة.

فرغم الجهود التى بذلها المنظرون للإبادة الجماعية والهولوكوست،

فلم يوجد لها أثر. وكتبت السيدة أولجا ورمسر ـ ميجو في ١٩٦٨، تقول : كما أنه لا يوجد أمر خطى مكتوب بوضوح للإبادة بالغاز في أوشفيتز، فلا يوجد أيضا أى أمر بإيقافها في نوفبر ١٩٤٤ ».

[المصدر : أولجاورمسر ـ ميجو، نظام المعسكرات النازية، باريس ١٩٦٨، ص ـ ٥٤٤ وص ـ ١٣].

ويعترف الدكتور كيبوفي من مركز الوثائق في تل أبيب عام ١٩٦٠ : « لا توجد أى وثيقة ممضاة من هتلر أو هيملر أو هيدريش تتحدث عن إبادة اليهود. . . ولا تظهر عبارة « الإبادة » في خطاب جورنج الموجه إلى هيدريش بشأن الحل النهائى للمسألة اليهودية ».

[المصدر : لوسى داوديفتيش، الحرب ضد اليهود، ١٩٧٥، ص ـ ١٢١].

وصرح ريمون أرون وفرانسوا فيرى (وهما من كبار المفكرين الفرنسيين) في موتمر صحفى عقد في فبراير ١٩٨٢].

« رغم البحوث المتعمقة، لم يتم العثور مطلقا على أمر من هتلر بإبادة اليهود ».

[المصدر: والتى لاكير، السر الفظيع، ١٩٨١، ص ـ ١٩٠].

ووقع بعض المؤرخين على البيان التالى بإيعاز من فيدال ياكيه وليون بولياكوف: «(. . .) لا يجب التساؤل عن الكيفية التى كان من

الممكن بها تقنيا القيام بمثل هذه المجزرة الجماعية . لقد كانت ممكنة تقنيا لأنها حدثت . وهذه هي نقطة الانطلاق اللازمة لأي تحقيق تاريخي حول هذا الموضوع وعلينا أن نذكرّ بهذه الحقيقة بكل بساطة ، فلا نقاش ولن يكون هناك نقاش حول وجود غرف الغاز » .

وهذه الممنوعات الثلاثة ، أو المحرمات الثلاثة هي الحدود النهائية لأي بحث .

وهذا النص يعتبر بالفعل بداية تاريخية في تأريخ التاريخ ، بوضعه مثل هذه الأوامر الشرطية مسبقا أمام أي بحث أو نقد للأحكام التي أصدرها المنتصرون .

ولكن التاريخ إذا أراد أن يحترم النظم الأساسية العلمية ، ينبغي أن يكون بمثابة بحث دائم ، وتفنيد لكل ما نعتقد أنه قد ثبت نهائيا مثل قوانين نوتن .

وهاك مثال مشهور:

« لقد توخّت اللجنة الدولية لاوشفيتز في نوفبر ١٩٩٠ ، استبدال اللوحة التذكارية في اوشفيتيز والتي تشير إلى « ٤ ملايين من الضحايا » بأخرى تحمل عبارة « أكثر من مليون قتيل » . ولكن الدكتور جولدشتين ، رئيس اللجنة اعترض على ذلك » .

[المصدر : جريدة لوسوار ، بروكسل ، ١٩ ــ ٢٠ أكتوبر ١٩٩١ ، ص ـ ١٦] .

والواقع أن الدكتور جولدشتين لـم يعترض على ضرورة تغيير اللوحة القديمة، ولكنـه كان يرجو ألا تحمل اللوحة الجـديدة أى رقم، لعلمه أنه قـد يصبح من الضـرورى في زمن قصير إعـادة النظر مرة أخـرى في تخفيض الرقم المذكور.

وعلى هـذا فإن اللـوحـة المثبتـة على معسكـر بيـركينـاو، حملت التدوين التالى حتى عام ١٩٩٤ .

« هنا وفـي الفترة ما بين ١٩٤٠ ، ١٩٤٥ ، عُـذِّب أربعة مـلايين من الرجال والنساء والأطفال وقتلوا بواسطة عمليات الإبادة الهتلرية ».

وبفضل مـا قامت بـه اللجنة الـدولية لمتحف الـدولة الـذى يرأسـه المـؤرخ فلاديسـلاف بـرتـوزيسكى، تعدل النص على النحـو التـالى والذي لا يبعد عن الحقيقة:

« ليصبح هذا المكان ، الذى قتل فيـه النازيون مليوم ونصف مليون رجل وامرأة وطفل، معظمهم من اليهـود والقادمين من مختلف البلدان الأوروبية، وإلى الأبد صرخة يأس وإنذار للإنسانية ».

[المصدر: مقال لوك روزنفيج في جريدة لموند، ٢٧ يناير ١٩٩٥].

وهذا المثـال يبين لنا أن التاريخ، لكى يفلت من الإرهـاب الفكرى للمنادين بالحقـد والبغضاء، يقتضى إعادة نظر دائمـة. فإما أن يكون تعـديلى (أى قابل لإعـادة النظر فيـه وتعديلـه) وإما أن يكـون محض دعاية مقنعة.

ونعود الآن إلى التاريخ بمعناه الحقيقى، فقد عولجت مسألة اليهود في برنامج الحزب القومى الاشتراكى (النازى) في المادة ٤ من البرنامج :

« لا يحق لأى شخص حيازة الجنسية الألمانية إلا من المواطنين الكاملى المواطنة . وهؤلاء المواطنون هم الذين يجرى في عروقهم الدم الألمانى، دون تمييز عقائدى . وعلى ذلك، فلا يمكن لأى يهودى أن يكون مواطنا كامل المواطنة » .

وفي المادة ٥، جاء ما يلى :

« من لم يملك الجنسية الألمانية لا يمكنه العيش في ألمانيا بصفة مضيف، ويجب أن يخضع للتشريعات المعمول بها بشأن إقامة الأجانب » .

وجاء كذلك في المادة ٨، ضرورة إيقاف أى هجرة جديدة لغير الألمان وكذلك الطرد الفورى لغير الألمان الذين دخلوا ألمانيا منذ ٢ أغسطس ١٩١٤ . وهذه النقطة الأخيرة موجهة بشكل واضح ضد اليهود الشرقيين الذين وصلوا بأعداد كبيرة إلى الريخ أثناء الحرب العالمية الأولى وبعدها .

ونصت المادة ٢٣ على أنه لا يحق لليهود العمل في الصحافة . وأكدت المادة ٢٤ على أن الحزب يكافح ضد « العقلية المادية اليهودية » .

أ ـ أوامر هتلر بشأن إبادة اليهود

كتب راؤول هيلبرج في كتابه « القضاء على يهود أوروبا » الذي صدرت طبعته الأولى عام ١٩٦١ ، أن هناك أمرين للإبادة صدرا عن هتلر: أحدهما في ربيع ١٩٤١ (دخول روسيا) والآخر بعد عدة شهور من هذا التاريخ.

ولكن في عام ١٩٨٥ ، وفي الطبعة الثانية، المنقحة، حذفت جميع الإشارات إلى أوامر أو قرارات هتلر بشأن « الحل النهائى » بصورة منهجية.

[المصدر : هيلبرج يراجع نفسه حوليات سيمون فيزنتال، (المجلد ٣، ١٩٨٦ ، ص ـ ٢٩٤).

ففى طبعة ١٩٦١ يذكر هيلبرج أن « الأمر كان شفويا ». أى أن الجنرال جوديل قال إن هتلر قال. . !

وكان هتلر ينادى في كتابه « كفاحى » برغبته في طرد اليهود من ألمانيا. واقترح ريبنتروب تجميعهم في مدغشقر التى كانت تابعة لفرنسا آنذاك.

وفي يوليه ١٩٤٠ ، أوجز المسئول عن الشئون اليهودية فرانز راد ، هذا التوجيه في العبارة التالية : « كل اليهود خارج أوروبا ! ». وكان يتوقع لتحقيق « الحل النهائي » فترة أربع سنوات وإمكانيات ضخمة.

ب ـ خطاب جورنج إلى هيدريش في ٣١ يوليه ١٩٤١ .

طلب هيدريش من جـورنج : « في ١٩٣٩ ، أعطيتنى الأمر بـاتخاذ التدابير المتعلقة بالمسألة اليهودية . فهل عليَّ الآن مد هذه المهمة التى أسنـدتمـوها إلـيّ لتشمل الأراضى الجـديدة التى استـولينـا عليهـا في روسيا . . . »

وهنـا كذلك ، لاشيء بخصـوص قتل اليهود . والأمـر لا يتعلق إلا بنقلهم جغرافيا ، وذلك وببساطة لمراعاة الظروف الجديدة .

فالحل النهائى إذن كان يكمن في تفـريغ أوروبا من اليهود والإمعان في إقصـائهم بعيدا حتى تسمح الحـرب بـوضعهم داخل جيتو خـارج أوروبا (كمشروع مدغشقر) .

وافتراض لغة سرية وشفرية ، هو افتراض بلا سند ، لأن هناك وثائق واضحة للجرائم الأخرى ، ومنها الموت الـرحيم ، وأمر قتل الكوماندوز لبريطـانيين ، وسحل الطيارين الأمريكيين في الشوارع دون محـاكمة ، وإبادة أهالى ستالينجراد من الذكور عند احتلالها . وعن هذه الجرائم جميعها ، فالوثائق موجودة ، في حين أنه بالنسبة لهذه الجريمة لا توجد لا الأصـول ولا الصور ، ولا الأوامـر أو التوجيهـات اللازمـة لتنفيذ هـذه التعليمات الضخمة .

« في ينـايـر ١٩٤٢ ، أبلغ رينهـارد هيـدريش ، رئيس الجستـابـو ، زعماء برلين أن الفوهرر قد قرر إجلاء كل اليهود نحو الأراضى الشرقية ،

مستبدلا بذلك عملية الإبعاد السابقة ».

وفي المـــذكـــرة التـي عممت في مـــارس ١٩٤٢ داخـل مكتب هيدريـش، أبلغ الوزراء أن يهود أوروبـا سيجرى تجميعهم فـي الشرق «انتظارا لإرســالهم بعد الحـرب إلى أراضٍ نائيـة، مثل مدغشقـر، لكى تصبح وطنهم القومى.. »

ويذكر بولياكوف: « وكـان مشروع مدغشقر وحتى التخلى عنه، هو الذى كـان يطلق عليه الزعمـاء الألمان اسم « الحل النهـائى » للمسألة اليهودية.

[المصدر : بولياكوف، محكمة القدس، باريس، ١٩٦٣، ص_١٥٢].

ومن أجل الإبقاء على نظرية الإبادة الجسدية بأى ثمن، تطلب الأمر إيجاد ذريعة : « لقـد كانت عبارة الحل النهائى للمشكلـة اليهودية من العبارات التقليدية لـلإشارة إلى الخطة الهتلرية الراميـة إلى إبادة اليهود الأوربيين ».

[المصدر جيرالد ريتلينجر، الحل النهائى، ص ١٩].

وليس هناك مـا يبرر افتراض هـذه اللغة الشفريـة التى كانت تسمح لأى وثيقة بأن تفصح عما نريد أن نقوله. وهاك مثالان على ذلك :

الأول: خطـاب جـورنج المـؤرخ في ٣١ يـوليـه ١٩٤١، والـذى يستكمل فيه جورنج تعليماتـه إلى هيدريش : « استكمالا للمهمة التى أسنـدت إليكم بتـاريخ ٢٤ـ ١ ــ ١٩٣٩، أكلفكم بأن تعرضـوا علىّ

وبسرعة مشروعا إجماليا يتناول الإجراءات التنظيمية والتدابير الملموسة والمادية لتحقيق الحل النهائى الذى نتطلع إليه للمسألة اليهودية في منطقة النفوذ الألمانى في أوروبا ».

[المصدر: هيلبرج، المرجع السابق، ص: ٤٠١ (الطبعة الثانية)].

وبإيجاز فإن تعليمات جورنج إلى هيدريش لاتعدو أن تكون سوى تطبيق ما كان يطبق في ألمانيا على أوروبا نظرا للظروف التى استجدت. ما لم تفسر تفسيرا تعسفيا طبقا لمخطط مسبق. والهدف في حد ذاته هو دون شك هدف غير إنسانى وإجرامى، ولكنه لا يشير في أى لحظة إلى فكرة« الإبادة » التى ألصقها له المدعى العام في نورمبرج روبرت كمبنر عندما أعلن: « بهذه السطور ، كلف هيدريش وأعوانه رسميا بالقتل القانونى (لليهود) ».

وقد اعترض جورنج على الترجمة الإنجليزية للعبارة الألمانية «الحل الشامل » بعبارة « الحل النهائى »، مما حدى بالمدعى العام جاكسون أن يعترف بالتزوير، وإرجاع العبارة إلى أصلها الحقيقى. وهذه الواقعة التى دمرت نظرية بأكملها، لم تتحدث عنها الصحافة بكلمة واحدة.

وفي ١٠ فبراير ١٩٤٢ ، كتب مسئول وزارة الخارجية الألمانية رادماخير، في رسالة رسمية يقول: « لقد أتاحت لنا الحرب ضد الاتحاد السوفيتى الحصول على أراض جديدة للحل النهائى. وعلى ذلك، فقد

قرر الفوهرر نقل اليهود نحو الشـرق لا نحو مدغشقر. ومن ثم، لم تعد هناك حاجة لاختيار مدغشقر للحل النهائى ».

[المصدر: ريتلنجر، الحل النهائى، ص ـ ٧٩].

والمثال الثـانى على هذا التعبير التعسفـى لمعانى الكلمات لتبـرير قضية ما، هو الخاص بمؤتمـر وانسى الكبير، الذى انعقد في برلين في ٢٠ يناير ١٩٤٢.

ومنذ بدايـة المؤتمر، لـم ينفك هيدريش يذكّر بأنـه قد تم تعيينه في «منصب المسئول المكلف بإعـداد الحل النهائى للمسألة اليهـودية في أوروبـا » وبأنـــه « سيكـون من الآن فصـاعـدا المسئــول عن مجمـوع الإجراءات اللازمـة للحل النهائى للمسألة اليهوديـة دون اعتبار للحدود الجغرافية.

ويلخص هيدريش بعـد ذلك السياسـة المعاديـة لليهود التى تمت حتى ذلك التاريخ في الآتى:

أ ـ طرد اليهود بعيدا عن الدوائر الحيوية للشعب الألمانى.

ب ـ طرد اليهود خارج الحيز الحيوى للشعب الألمانى.

نص مؤتمر وانسى (٢٠ يناير ١٩٤٢)

« أثناء الحل النهـائى سيسير اليهود تحت إدارة مناسبـة نحو الشرق لـلاستفــادة بهم في العمل. وسيتم التفـريـق بينهم بحسب الجنس. وسيـرحل اليهود القـادرون على العمل في طـوابيـر ضخمة إلى منـاطق

الأعمـال الكبرى لبنـاء الطرق، ولا شك أن عـددا كبيرا منهـم سيمـوت بواسطة الانتقاء الطبيعي.

ومن سيظل منهم على قيد الحياة في نهاية المطـاف ، فإنهم سيشكلون دون أدنى شك العنصر الأقوى وينبغى معاملتهم طبقا لذلك لأنهم يمثلون الانتقاء الطبيعـى ، ينبغى اعتبار تحريرهم بمثـابة الخلية المـولـدة للتطـويـر اليهـودي الجـديـد. (كمـا تـوضحـه تجـارب التاريخ . . .).

ويعد بروتوكـول وانسى بمثابة المحضر الحرفى للمـؤتمر الذى عقد في الفتـرة من ٢٠ ينايـر ١٩٤٢ ، واشتـرك فيه الـوزراء المهتمون إداريـا بحل المسألة اليهودية ورؤساء الإدارات المكلفة بالتنفيذ. ويتعلق الأمر بنص لم ترد فيه أبدا عبارة غـرف الغاز أو الإبادة، ولكن نقل اليهود فقط إلى الشرق الأوروبى.

وهذا المحضر له كل خصائص الوثيقة المزورة والمزيفة إذا ما رجعنا إلى صورتـه التى نشرت في كتـاب السيد روبـرت كمبنر، فـلا خاتم ولا تاريخ ولا توقيـع ، والحروف كتبت على آلة كاتبة عـادية وعلى ورق من القطع الصغير.

وعلى كل حال، فلا يوجد بها أىّ إشارة إلى غرفت الغاز.

وفضلا عن ذلك، فإن مؤتمـر وانسى المنعقد فى ٢٠ يناير ١٩٤٢ ، والذى ادعى طـوال أكثر من ثلث قرن أن قـرار « إبادة » يهود أوروبـا قد

اتخـذ أثناء انعقـاده، اختفى تمامـا من أدبيات أشـد أعداء المطـالبين بمراجعة التاريخ منذ عام ١٩٨٤ . فقـد تخلوا صراحة عن هذا التفسير وراجعوا تـاريخهم حول هذه النقطة أثنـاء انعقاد مؤتمر شتـوجارت في مايو ١٩٨٤ .

[المصدر: إيراهارد جيكل ويورجون روهـور، قتل اليهود أثناء الحرب العالمية الثانية، ١٩٨٥ ، ص ـ ٦٧] .

وقد وصف ياهودا بور في جريدة أخبار اليهود الكنديين الصادرة في ٣٠ يناير ١٩٩٢ ، أن تفسير وانسى كان « تفسيرا أحمق » .

وأشار أحـد المؤرخين المتشـددين وهو جـان كلود بـريساك إلى أن عبارة « الإبادة » قد نقحت وصارت « طردًا » .

وبخصوص أن مسألة « الحل النهائي » للمشكلـة اليهودية وإنها لن تحل إلا بعد الحـرب، فإن « الملف البنى » لصيف عـام ١٩٤١ يشهد على ذلك . فقـد جـاء في الفقـرة المعنونـة « تعليمـات لحل المسألـة اليهـوديـة » ما يلى : « لا يجب أن تتخـذ أى إجـراءات بشأن المسألـة اليهـودية في الأراضـى المحتلة في الشـرق إلا بعـد الحرب، وستجـد المسألة اليهودية في أوروبا حلا عاما » .

[المصدر: هنرى موزى، اضطهاد اليهود في البلدان الشرقية، ١٩٤٩] .

ولقد كان هتلر في السنتين الأخيرتين للحرب وبعد ستالينجراد ، في وضع ميئوس منـه، فالحلفـاء يدمرون مـراكز الإنتـاج الحربى بقصفهم

لها ، ويحطمون طرق المواصلات . واضطر إلى حشد أعداد أخرى للعمل بالمصانع . فكان يعمل في مونوفيتز بالقرب من أوشفيتز ١٠٠٠٠ معتقل ، و ١٠٠٠٠٠ عامل مدنى ، ١٠٠٠ سجين حرب بريطانى .

وفي ٢٥ يناير ١٩٤٢ ، وجه هيملر تعليماته إلى المفتش العام لمعسكرات الاعتقال ، جاء فيها : « استعد لاستقبال ١٠٠٠٠٠ يهودى . . . وستسند مهام اقتصادية كبيرة إلى معسكرات الاعتقال في الأسابيع القادمة » .

وفي مايو ١٩٤٤ ، أمر هتلر باستخدام ٢٠٠٠٠٠ يهودى كعمال في البرنامج الإنشائى « جاجر » ومنظمة تودت . فصدر أمر فى ١٨ نوفبر ١٩٤٣ . تمنح بمقتضاه علاوة للمعتقلين ـ حتى اليهود منهم ـ الذين يبرزون في العمل .

[المصدر: متحف أوشفيتز، ١٩٦٢ ، ص ـ ٧٨] .

ولا يتعلق الأمر هنا بالجنون أو الخرافة ، بل على العكس بواقعية مريرة وقاسية . ولكن هذا وفي المقام الأول يشكل دحضا إضافيا لأطروحات « الإبادة » .

ب ـ الشهادات

أثناء محاكمة أوشفيتز التى جرت فى فرانكفورت في الفترة من ٢٠ ديسمبر ١٩٦٣ وحتى ٢٠ أغسطس ١٩٦٥ ، داخل مسرح كبير واسع ، وهو ما يليق بعملية سياسية مثيرة ، ورغم هذا الإخراج القضائى

فإن محكمة الجنايات لم تستطع تفادى الاعتراف بأنها لا تملك سوى عناصر واهية لدعم حكمها .

« كان ينقص المحكمة معظم وسائل المعلومات تقريبا التى توضع عادة تحت تصرف محاكمة جنائية عادية حتى يتسنى تشكيل صورة أمينة للوقائع كما حدثت فعلا أثناء الجريمة . فكان ينقصها جثث الضحايا ، وتقارير التشريح ، واستنتاجات الخبراء بشأن أسباب الوفاة ، وكان ينقصها الآثار التى تركها المتهمون ، وسلاح الجريمة ، . . إلخ ولم يتم التحقق من الشهادات إلا في حالات نادرة » .

[المصدر: الصفحة ١٠٩ من حيثيات الحكم] .

وسلاح الجريمة كان مع ذلك ، وطبقا للمدَّعين هى « غرف الغاز » ، وهاهم القضاة لا يجدون لها « أثرا » ! .

ولكن كان يكفى أن يكون الأمر معروفا للكافة حتى لا يشكك فيه أى إنسان و إلا ذهب هو نفسه إلى الجحيم .

وحتى عام ١٧٥٧ ، كان من المعروف للكافة أن الشمس تدور حول الأرض . . وكانت هذه حقيقة ثابتة ! .

وكتب أحد القانونيين الأمريكان الذين أرسلوا إلى « داخاو » بعد أن أصبح معسكرا أمريكيا ومركزا للمحاكمات ضد جرائم الحرب ، يقول :

« لقد عشت في داخاو طوال ١٧ شهرا بعد الحرب كقاضى عسكرى

للـولايـات المتحدة، وأستطيـع أن أشهد أنـه لـم يكن هنـاك أى غـرف للغاز. وما يعرض على الزوار يقدم بطريقـة خاطئة على أنه غرفة للغاز، مع أنـه محـرقـة لجثث المـوتى « ولم يكن هنـاك أى غـرف للغـاز في ألمانيا. ويقولون لنا إنـه كان في أوشفيتز غرف للغاز، ولكننا لم نحصل على إذن من السلطات الـروسية التى كانت تشرف على هـذه المنطقة، لزيارتها. . كما أنهم يستخدمون الأسطورة القديمة للدعاية بأن ملايين اليهود قـد قتلوا. وأستطيع أن أأوكد بعـد ٦ سنوات على انتهـاء الحرب في ألمانيا والنمسا، أنه كان هنـاك الكثير من اليهود الذين قتلوا، ولكن رقم المليـون لم يتم بلـوغه أبـدا، وأعتقـد أننى مؤهـل أكثر من غيـرى للحديث عن هذا الموضوع».

[المصدر: ستيفن بنتر، جريدة زائر الأحد، ١٤ يونيه ١٩٥٩، ص ١٥].

ونظرًا لانعـدام أى دلائل خطية ، ووثائق لا يـرقي إليها الشك، فإن محكمة نورمبـرج قد قامت على « شهادات » إن الفـارين الذين شهدوا على وجـود غرف الغاز قـاموا بـذلك ليس على أسـاس ما شـاهدوه ، ولكن على أساس ما سمعوه.

والشـاهـد الرئيسى الـذي جيء بـه « لإثبـات » نظريـة المنتصـرين المرتدين لباس القضاة، كان رودولف هيس، قائد معسكر أوشفيتز.

وكان الموجـز الذى أدلى به عند إلقاء القبض عليـه، والذي قامت عليـه اعترافـاته في نـورمبرج، يستجيـب تمامـا لما كـانت تنتظره منـه

المحكمة.

وهاك اعترافه الذى أدلى به بعد حلف اليمين ووقع عليه رودولف هيس في ٥ أبريل ١٩٤٦ :

« توليت قيادة أوسفيتز حتى أول ديسمبر ١٩٤٣ ، وأعتقد أن ٢٥٠٠٠٠٠ ضحية قد أعدموا أو أبيدوا بالغاز أو الحرق، وأن نصف مليون آخرين قد ماتوا من الجوع أو المرض، وبهذا يصل عدد القتلى إلى نحو ٣٠٠٠٠٠٠ ، وكان الحل النهائى للمسألة اليهودية يعنى إبادة كل يهود أوروبا، وقد تسلمت أمر إعداد الإبادة في أوشفيتز في يونيه ١٩٤١ . وفي ذلك الوقت كان هناك ثلاثة معسكرات أخرى للإبادة في الحكومة العامة هى: بلزيك ، وتربلينكا، وولزيك» .

فكيف بالله تم تسجيل هذه « الشهادة الهامة » دون التحقق منها مسبقا؟

ويشرح هيس نفسه ذلك قائلا: كتبت الاعترافات الأولى تحت إشراف السلطات البولندية التى اعتقلتنى.

وفي كتاب السيرة الذاتية لرودولف هيس جاء ما يلى: « أثناء استجوابى الأول، انتزعت الاعترافات منى بضربى. ولا أعرف ما فى هذا التقرير رغم أننى قد وقعت عليه » .

ولم تتأكد عمليات التعذيب التى تعرض لها هيس للحصول على «أدلة » إلا في عام ١٩٨٣ ، عندما كتب روبرت بتلر كتابه عن « فيالق الموت » ، والذى جاء فيه: « لدى إلقاء القبض عليه، ضرب ضربا

مبرحا إلى درجة أن ضابط الصحة تدخل بإلحاح لدى الكابتن قائلا له: قل له أن يوقف هذا الضرب وإلا فإننا لن نحصل إلا على جثة هامدة!».

محاكمة أوشفيتز

إن مصير المتهم الرئيسي وهو آخر قائد لمعسكر أوشفيتز، ريتشارد باير، الذى توفى قبل بدء المحاكمة، جدير بالاهتمام، فقد تم توقيفه في ديسمبر ١٩٦٠ بالقرب من هامبورج حيث كان يعمل ويعيش. وفي يونيه ١٩٦٣ مات في السجن في ظروف غامضة.

وطبقا لمصادر عديدة. رفض باير بعناد إثبات وجود غرف الغاز في القطاع الذى كان يشرف عليه.

ويقرر محامى نورمبرج، ابرهارد انجلهاردت إن باير قد دُسّ له السم أثناء التحقيق.

والمثال الثانى: تقرير جرشتين، أحد ضباط النازى وهو التقرير الذي رفضت محكمة نورمبرج العسكرية الأخذ به كدليل في جلسة ٣٠ يناير ١٩٤٦ لعدم جديته وما جاء فيه من تضليل، والذى استخدمه جزئيًا النائب العام الفرنسى ديبوست، ثم استخدم بعد ذلك أثناء محاكمة إيخمان في القدس في ١٩٦١٪.

وطبقًا لهذا «الشاهد» فإن عدد الضحايا بلغ ٢٥ مليونًا من الضحايا! (٦٠٠٠٠ يوميًا في المعسكرات الثلاثة بيلزيك وتريبلينكا وسوبيبور).

ورأى فضلا عن ذلك من ٧٠٠ إلى ٨٠٠ شخص مكدسين وقوفًا في غرفة مساحتها ٢٥ مترا مربعا (أى أكثر من ٢٨ فى المتر المربع !)

والمثال الثالث: وكيما نتمسك بالشهود المشهورين، نذكر الدكتور ميكلوس نيسزلى، الطبيب المجرى، الذى اعتقل في أوشفتيز، وهو يقول عن غرف الغاز إن طولها ٢٠٠ م، بينما الوثيقة المقدمة لمحكمة نورمبرج تقول إن مساحاتها كانت ١٢٠م٢ أو ٤٠٠م ٢ أو ٥٨٠ م٢، أى ٥ , ١ × ٢م أو ٩٠ , ٢م. وهو يؤكد كذلك أنه عند وصوله إلى المعسكر في أواخر مايو ١٩٤٤، كانت الإبادة بالغاز قد دامت منذ أربع سنوات، مع أن وثيقة نورمبرج رقم ٤٤٠١ تشير إلى أن طلبات المحارق جرت في أغسطس ١٩٤٢، والوثيقة ٤٤٦٣ تقول إنها لم تكن جاهزة إلا فى ٢٠ فبراير ١٩٤٣.

وفي أغسطس ١٩٦٠، أعلن معهد التاريخ المعاصر فى ميونخ للصحافة ما يلى: « لم تستكمل غرف الغاز في داخاو ولم توضع موضع التنفيذ أبدا . . . وإن الإبادات الجماعية لليهود بالغاز بدأت في ١٩٤١ ـ ١٩٤٢ وفي مناطق محدودة من بولندا المحتلة فقط، وليس ألمانيا بأى حال من الأحوال ».

[المصدر: دى زيت، ١٩ اغسطس ١٩٦٠].

أمثلة أخـــرى

قال سوكل (أحد المتهمين الرئيسيين) في جلسة ٣٠ مايو ١٩٤٦ لمحكمة نورمبرج ما يلى:

« أقـر بأن تـوقيعى يظهـر في هذه الـوثيقـة . وأطلب من المحكمـة السماح لـى بأن أشرح كيفيـة الحصول على هذا التـوقيع . لقد قُـدمت هذه الوثيقة إليّ في شكلها النهائي فطلبت الإذن بقراءتها ودراستها حتى أقرر مـا إذا كان عليّ أن أوقعها . ولكن رفـض طلبى . . . ثم دخل أحد رجال البوليس البـولنديين أو الروس وقال: « أين أسـرة سوكل؟ سنأخذ سوكل معنـا ، أما الأسرة فستسلم فـي الأراضى الروسية» . وأنـا والد ١٠ أطفال ، ففكرت في أسرتي ووقعت على الوثيقة » .

●●●

ومن بين شهادات مجرمى الحرب ، فإن شهادة الجنرال أوهلندورف تعتبر من الشهادات المعبرة بشكل خاص . فقـد كان يدير الجماعات المكلفة بإعـدام المفوضين السيـاسيين في جنوب روسيـا ، وأعلن أثناء المحاكمة الدولية العسكريـة أنه قد تلقى أوامر شفوية لكى يضيف إلى وظـائفه وظيفـة إبادة اليهـود باستخـدام الشاحنـات المجهزة بمعـدات الموت ، بما فى ذلك النساء والأطفال . وجـاءت شهادته في المحاكمة الثانية مختلفة تمامًا ، وتراجع عن تصريحاته السابقة ، واعترف بأنه قتل عـددًا من اليهود والغجـر ولكن في إطـار المعركـة ضد العـدو ، وليس بمـوجب خطـة محددة لإبـادة اليهـود والغجـر ، كما اعتـرف بأنـه قتل ٤٠٠٠٠ شخص وليس ٩٠٠٠٠ كما قال في السابق .

ولم ينبس المؤرخـون النقاد بكلمة واحـدة لدحض هـذه الأقاويل ، ولم تصـدر عنهم أيـة مناقشة علميـة معـارضـة ، ولكن فـرض عليهم

الصمت والاضطهاد .

وطالما استمر هذا الاضطهاد وهـذا القمع تجاه البحوث الانتقادية ، وتـواصل على العكـس تـدفق التمـويل الـوافـر والإشـادة الإعـلاميـة بـالمـدافعين عن هذه المحـرمـات ، فلن ينمحى الشك والأرتيـاب من ذاكرتى .

ولقد مررت بهذه التجربة منـذ ١٤ عامًا ، ومنذ محاكمة ١٩٨٢ التى رفعتهـا ضـدى « ليكـرا » لأننى أدرجت حـرب لبنـان في إطـار منطق الصهيونية السياسية ، ورغم أن الدعوى قد رفضت وحكم على « ليكرا» بـالمصاريف في محكمـة الـدرجة الأولـى وفي محكمة النقض . فقـد اضطـر نـاشر كتـابى « الشأن الإسـرائيلى » الـذى صـدر عن دار نشـر بابيريس فى ١٩٨٣ ، إلى إعلان إفلاسه فورًا . كما لـم يجر توزيع كتابى « فلسطين أرض الرسالات الإلهية » الذى أصدرته دار نشر الباتيروس في باريـس عام ١٩٨٦ ، تـوزيعًا عاديًـا . فالمكتبـات التى عرضتـه تلقت تهـديـدات بتحطيم واجهـاتهـا . وعـادت معظم النسخ إلى النـاشـر ، واختفى تـوزيعـه تمامًـا . وحتى هـذا الكتـاب « الأسـاطير المـؤسسـة للسيـاسـة الإسـرائيليـة» فلن يسلم من الحملـة المسعـورة للصحـافـة الفرنسية ، ولذلك سأضطر إلى نشره على نفقتى الخاصة في فرنسا ، مع أن هـذا الكتاب قـد تـرجم ويجرى نشـره في إيطـاليا وألمـانيـا وتركيـا والولايات المتحدة وحتى روسيا .

فهـذا الصمت وهـذا الاضطهـاد ، وعمليـات القمع ضـد التـاريخ

الانتقـادى للجرائم الهتلـرية تـرتكز على حجج مشينـة وكاذبـة ، وهى تدليل على أن الجرائم الضخمة التي ارتكبها هتلر حيال اليهود، وحيال كل أعدائه من الشيوعيين الألمان أو السلاف ، ولم تكن تحتاج إلى أى أكذوبة للكشف عن فظـاعتها، وأن الحديث عنها انتقاديًّـا إنما هو في نظر أعـداء التاريخ الانتقـادى بمثابـة تبرئة هتلر أو التخفيـف من حدة جرائمه ! .

فالتـدليل على أن جرائم النـازى لم تقتصر إلا على اليهـود وحدهم وأنها خلّفت عشرات الملايين من القتلى في الكفاح ضد الفاشية، هو « عنصرية » تشجع على التميز والحقد العنصريين !

ولمقاومة ظاهرة الحقد ضـد البـاحثين الانتقاديين، فإننا اليوم نسعى إلى إضافـة عناصر جديـدة بمصادرها ومراجعهـا إلى هذا الملف على أمل أن تؤدى إلى قيـام مناقشة صـريحة حول الوقـائع الموضوعيـة لهذا المـاضى دون دفعهم مسبقـا بـالتحيـز أو إجبـارهم على الصمت. ولا يمكن الإعـداد للمستقبـل مع مـواصلـة مشـاعـر الحقـد وتغـذيتهـا بالأكاذيب .

ونقد الشهادات المحققـة تاريخيًّا والدراسـات العلمية التى تسمح بمنح الـرأى العـام إمكـانية التفكيـر في جـرائم الأمس للحيلـولـة دون حدوثها غدًا، هو التزام أخلاقى بقدر ما هو التزام علمى .

وحتى الآن ، لم يقدم حتى للفنانين الكبـار من ذوى النوايا الطيبة، إلا الأرقام التعسفيـة والخاطئـة . وكم شاهـدنا من الأفـلام الرائعـة التى

شوّهت بذكـر الرقم التعسفى للضحايا اليهـود في اوشفيتزا. وفي مقابل ذلك، ما شهـدناه من الأفلام بعد التحـرير التى تشيد بمن حاربـوا ضد النـازى، مثل « المعـركة ضـد المـاء الثقيل » الذى يعـالج الاكتشـاف الحاسم لجوليو كورى وفريق عمله لاستخراج المياه الثقيلة في النرويج لمنع وصـولها إلى هتلـر حتى لا تتـاح له فـرصـة استخدامهـا في صنع القنبلة الذرية. ونفس الشيء بالنسبة لفيلم «معركة السكك الحديدية » الذى يـوضـح الكيفيـة التى خرّب بهـا عمال السكك الحـديديـة طرق المواصـلات الألمانية لشل حركـة تجميع الجيوش الألمانية الغـازية. وعلى النقيض من هـذه الأفلام، فكم مـن مرة أعـادوا علينا كل أسبـوع عرض أفلام مثل « الخروج »، و « الهولوكوست »، و « الإبادة »، وغيرها من الشرائط المرواة برومانسية تفيض لها الدموع !

وفيلم الهولـوكوست هـذا هو أكبر فيلم سـاهم فى التلاعب بـالرأى العـام العالمى والسيطـرة عليـه، وهو مـا يعتبر جـريمـة ضد الحقيقـة التاريخية ! .

[المصدر: لبيراسيون، ٧ مارس ١٩٧٩].

وساهمت الرواية في هذا الخداع والمخاتلة . وصدرت مؤلفات مثل « أيام موتنا» لدايفيد روسيـه، الذى جمع فيه بأسلوب روائى بارع كل ما هو مبتذل وتافه لتشكيل قالب أدبيات معسكرات الاعتقال.

وحتى مـارتن جراى، في كتـابه « بـاسم كل أبنـاء جلدتى » والـذى

استعان في كتابته بأحد الكتاب الفرنسيين الكبار لوصف معسكر لم تطأه قدماه أبدًا. وابتداء من المخطوطات المزيفة لوزارة قدماء المحاربين التى « اكتشفها » سيرج كلارسفيلد، وحتى الرؤيا القيامية الخاطئة لإيلى فينزل (الحائز على جائزة نوبل) الذى يقول إنه « رأى بعينه » لهبا ضخمًا يصعد من حفرة في الهواء الطلق « حيث كانوا يلقون فيها بصغار الأطفال » !.

[المصدر: إيلى فينزل، أقوال أجنبى، باريس ١٩٨٢، ص ـ ١٩٢].

وذروة هذه الأدبيات الرومانسية ، هو كتاب « يوميات آن فرانك » الذى حقق أحسن المبيعات عالميًّا ، (وآن فرانك فتاة يهودية كانت معتقلة في أحد المعسكرات). وفى هذا الكتاب المؤثر تحل الرواية محل الواقع ، ومرة أخرى تخفت الأسطورة في ثياب التاريخ .

ويقول المؤرخ الإنجليزى دافيدا رفنج عن هذا الكتاب : « لقد وافق والد آن فرانك أخيرًا والذى راسلته عدة سنوات ، على إخضاع أصول كتاب « اليوميات » للفحص المعملى وهو ما أطالب به دائما عندما يكون هناك اعتراض على وثيقة ما » .

وكان المعمل الذى فحصت فيه أصول الكتاب هو معمل البوليس الجنائى الألمانى في فيسبادن. وكانت النتيجة التى توصل إليها المعمل هى أن جزءا من يوميات آن فرانك كتب بقلم جاف (وهذا النوع من الأقلام لم ينزل الأسواق إلا في عام ١٩٥١ ، في حين أن آن فرانك قد توفيت في عام ١٩٤٥) .

ويستطرد دافيدارفنج : وكان استنتاجى بشأن يوميات آن فرانك، هو الجزء الأكبر منه كتبته حقيقة فتاة يهودية في العاشرة من عمرها. وتولىٰ أباها أوتو فـرانك أمر هذه النصوص بعد موت ابنتـه المأساوى من جراء التيفوس داخل معسكـر الاعتقال. وقـد قام الأب وأشخـاص آخرون لا أعرفهم بتصحيح « اليوميات » لإعطائها شكلاً صالحًا للبيع لإثراء الوالد ومؤسسة آن فرانك في آن واحد.

أما أنه وثيقـة تاريخية، فهذا الكتاب ليس له أيـة قيمة لأن النص قد شُوه وحُرِّف ».

وهذه البضاعـة الإبادية لا تسخدم إلا شهادات تشيـر بطرق مختلفة إلى قتل الضحايـا بالغاز، دون أن يوضحـوا لنا أبدًا طريقة تشغيـل غرفة غاز واحـدة (والذى أثبت لوختر استحـالة ذلك ماديًّا وكيميـائيًّا) ، أو شـاحنة واحـدَة من تلك الشاحنـات التى استخدمت بطـريقة انبعـاث الديزل منها، كغرف غاز متنقلة.

جـ- سـلاح الجريمة :

لـو انطلقنا من وجهـة النظـر الموضـوعية المفـروضـة في محاكمـة جنائيـة، فسيكون من الأهميـة بمكان سمـاع أقوال الخبـراء بشأن عدد كبير من الأسئلة، حتى ولمجرد تكوين فكـرة بخصوص مصداقية عدد كبير من الشهود وكذلك بعض من « الـوثائق ». ونستأذن في طرح عدد من هذه الأسئلة :

ـ كم من الـوقت يجب أن يمر حتى يتفاعل الغاز زيكلـون ب ، وما هى الكيفية التى كانت تظهر بها آثاره؟

ـ كم من الوقت يظل الغاز فعالاً ونشطا في مكان مغلق (سواء بدون تهوية ، أو بتهوية لاحقة للاستعمال مباشرة)؟

ـ هل كان مـن الممكن كما يـؤكـدون ، الدخـول دون كمـمـاة إلى المواقع المشبعة بغاز زيكلون ب ، بعد نصف ساعة فقط من استخدام هذا الغاز؟

ـ هل كـان من الممكن حرق الجثث بالكـامل في ٢٠ دقيقة داخل محرقة؟

ـ هل كانت المحارق تستطيع أن تعمل ليل نهار دون توقف؟ .

ـ هل من الممكن حـرق جثث بشريـة في حفر عمقها عـدة أمتار، وفي حالة الإثبات ، في كم من الوقت؟

ولكن وحتى الآن لم تصدر أى وثيقة إثبات .

ونطرح هنا مثالين اثنين :

● المثال الخاص « بغرف الغاز المتنقلة » بواسطة الشاحنات .

● والآخر خاص بالصابون المصنـوع من الدهن البشرى . (وأكذوبة استعماله بالفعل أثناء الحرب العالمية الأولى) .

[المصدر : الديلى تلجراف ، لندن ، ٢٢ مارس ١٩٤٦ ، ص ـ ٥] .

وقد انتشرت قصة عمليات الإبادة « بغرف الغاز المتنقلة » والمؤلفة من الشاحنات التى أبيد فيها آلاف الناس بتوجيه مخارج الديزل نحو الداخل، ولأول مرة لدى الرأى العام الغربى، عندما صدرت في جريدة النيويورك تايمز بتاريخ ١٦ يوليه ١٩٤٣، الصفحة السابعة. (وحتى ذلك الحين لم يتناول هذا الموضوع سوى الصحافة السوفيتية).

وهنا أيضًا، فإن سلاح الجريمة (وهو مئات أو آلاف الشاحنات المجهزة لعمليات القتل هذه) قد اختفى. ولم تظهر واحدة منها في أى محاكمة كدليل إثبات.

ويلاحظ كذلك أن خطة « الإبادة » كان مقدرًا لها أن تظل سرًّا مطلقا كما قال هيس، فمن الغريب أن يعلم به آلاف سائقى الشاحنات وأعوانهم الذين تسلموا الضحايا (دون أمر رسمى) وأخفوها بطريقة سحرية مع احتفاظهم بهذا « السر الفظيع ».

وروج فيزنتال لخرافة « الصابون البشرى » في مقالاته المنشورة عام ١٩٤٦ في جريد الطائفة اليهودية النمساوية درنيوفنج (الطريق الجديد)، كتب يقول: لقد سمعت العبارات المخيفة « النقل من أجل الصابون » لأول مرة في أواخر عام ١٩٤٢. وقد تم هذا في الحكومة العامة (لبولندا) وفي المصنع الذى كان كائنا في جليسى، في بلزيك. ومن أبريل ١٩٤٢ وحتى مايو ١٩٤٣، استخدم ٩٠٠٠٠٠ يهودى كمواد أولية في هذا المصنع ». وأضاف أنه بعد تحويل الجثث إلى موادها الأولية، استخدمت الباقيا الدهنية لإنتاج الصابون ». ثم

قال : ولا يمكن للعلم المتمدن أن يتصور سرور النازى بهذا الصابون وفرحة زوجاتهم به ، هذا الصابون يحمل الحروف **RIF** وهو رمز على «مكتب الرايخ للتموين بالمواد الدهنية » وقرأ البعض هذا الرمز خطأ على أنه **RTF** ، أى « دهن يهودى صافى » وبعد ذلك انتشرت الإشاعة كالريح .

وتوجد ثلاث وثائق قد تسمح لو نوقشت بجدية وعلنًا ، بوضع حد للجدل بشأن « غرف الغاز » وهى : « تقرير لوشتر » (٥ أبريل ١٩٨٨)، ومعاينة كراكوفى المضادة بتاريخ ٢٤ سبتمر ١٩٩٠ ، ووثيقة جرمار رودولف (١٩٩٤)، لأنها هى الوحيدة التى تكشف عن نهج علمى وموضوعى ، وتتضمن تحليل العينات المأخوذة على الموقع ، مما يتيح التحليل الكيميائى .

والزيكلون ب ، المصنوع من حامض السيانيدر، هو الذى زعم أنه . . قتل عددا كبيرا من المعتقلين بالغاز. وهو عادة ما يستخدم لتطهير الملابس أو الأدوات التى يخشى منها أن تنشر الأوبئة ، ولا سيما التيفوس ، وقد استخدم ابتداء من الحرب العالمية الأولى لأول مرة ، ولكنه استعمل بعد ذلك لتنفيذ الإعدام في أحد المحكوم عليهم بالإعدام في أريزونا عام ١٩٢٠ . ثم استخدمته ولايات أمريكية أخرى لنفس الغرض ، ولا سيما في كاليفورنيا وكولورادو والماريلاند والمسيسيبى ، وميسورى ، ونيفادا ، ونيومكسيكو، وكارولينا الشمالية .

[المصدر: تقرير لوشتر (رقم ٩٠٠٤) .

وقد عمل المهندس لوشتر كخبير استشارى لولايات ميسورى وكاليفورنيا وكارولينا الشمالية. وقد تخلت ولايات كثيرة اليوم عن هذا النمط من الإعدام بسبب تكلفته الباهظة ليس فحسب بالنسبة لغاز السيانيدر، ولكن بالنسبة أيضا لمواد تصنيعه وصيانته التى تستلزم إجراءات أمنية لاستخدامه، مما جعله أغلى طريقة للإعدام.

وبعد أن قام لوشتر بزيارة واختبار عينات « غرف الغاز » المزعومة في أوشفيتز - بيركيناو وغيره من معسكرات الشرق، توصل إلى الاستنتاجات التالية: « إن الفحص العينى للمنشآت تشير إلى أن تصميمها كان رديئًا للغاية وخطرًا إذا ما استخدمت كغرف للإعدام » وخلص لوشتر إلى أن أى من الشروط لم تستوف للقول بأنها غرف الغاز القاتلة. وكان أى إنسان يعمل فيها سيعرض نفسه للخطر، وبعد أن استعرض جميع المواد الوثائقية وفحص جميع الأماكن في أوشفيتز ، وبركيناو، وماجدانك، وجد أن البراهين دامغة: فلم توجد في أى من هذه الأماكن غرف غاز قاتل ».

[المصدر : تقرير لوشتر، ماساتشوست، ٥ أبريل ١٩٨٨].

وفي أثناء محاكمة تورنتو، كشف المحامى كريستى كم كانت الشهادات « تتعارض مع حقيقة الإمكانيات الكيميائية والتقنية. وكما توضح العينات والمعاينة التى قام بها لوشتر فإن آثار حامض السيانيدر في الزيكلون ب ، كانت أهم بكثير في القاعات التى تأكد أنها كانت مخصصة للتطهير، عنها في القاعات المزعوم أنها كانت « غرف

للغاز».

[المصدر : المرجع السابق].

وهذه النتيجة أكدتها جزئيًّا المعـاينة المضادة لكراكوفى التى أجراها معهد معاينات الطب الشرعى في كراكوفى بتاريخ ٢٠ فيراير وحتى ١٨ يوليه ١٩٩٠ ، والتى أبلغت نتائجها للمتحف بالخطاب المؤرخ في ٢٤ سبتمبر ١٩٩٠ .

هذا وقد فحص لوشتر الأماكن التى استخدمها النازى وفقًا للخرائط الرسمية لبيكركيناو، كمقابر للحرق « للتخلص من الجثث . وشدد على أنه من المستحيل حرق الأجسام تحت الماء لأن أوشفتيز وبيركيناو بنيتا على مستنقعات .

أما ألبوم أوشفيتز وهو يضم ١٨٩ صـورة أخذت من المعسكر نفسه في ذلك العهـد ، والذى قـدم له سيـرج كلاسفلـد ، تظهر ١٨٩ منظـرًا للحيـاة في معسكـرات الاعتقـال لـدى وصــول قـافلـة من المعتقلين القـادمين من المجــر. وليس فيـه أى شىء يثبت الإبــادة الجمـاعيـة والمنظمة ، بل على العكس فإنها تستبعد مثل هذه الإبادة .

[المصدر : ألبوم أوشفيتز، باريس، ١٩٨٣].

ويبدو أن الكندى جون بول ، خبير تفسير الصور الجوية ، هو الذى جمع أكبـر قدر من المستنـدات التصـويريـة الأصليـة وأجرى بكفـاءة تحليلاً صـارمًا لهـا . وجاءت استنتاجـاته متعارضـة تمامًـا مع التاريخ

الرسمى.

[المصدر: القرائن التصويرية الجوية، كندا ، ١٩٩٢].

ولا يمكن لكتـاب بريسـاك المعنـون « محـارق أوشفيتز » الـذى لا يخصص سوى فصل واحد من ٢٠ صفحة لغرف الغاز، والذى لا يشير إطلاقًا إلى تقرير لوشتر، أن يوازن أو يعادل تحليلات لوشتر.

وطالمـا لـم تجر بين خبراء من ذوى الكفـاءات المتساوية ، منـاقشة علميـة وعلنية بشأن المهنـدس فرد لـوشتـر ، وبشأن معاينـة كراكـوفى المضادة، التى جـرت في ١٩٩٠ بناء على طلب مـن سلطات متحف أوشفيتـز، وطالمـا أن مجموع أوراق النقـاش حـول « غرف الغـاز » لن يخضع لمناقشة حرة، فإن الشك سيظل قائما بل والريبة.

وحتى هذه اللحظـة ، فإن الحجج الوحيدة التى استخـدمت حيال الـرافضين للتـاريـخ الـرسمى، كـانت هى الامتنـاع عن المنـاقشـة، والاغتيال، والرقابة والاضطهاد.

●●●

٣ ـ أسطورة الستة ملايين

« الهولوكوست »

« الإبـادة الجمـاعيـة: هي الإبـادة المنظّمة لمجموعة عرقية بالقضاء على أفرادها».

قاموس لاروس

« وعلى غرار الوعد الإلهي الوارد في التوراة ، فإن الإبادة الجماعية هي عنصر من عناصر التبرير الأيديولوجي لإنشاء دولة إسرائيل » توم سيجيف ، المليون السابع.

١٩٩٣ـ ص ٥٨٨.

عادة مـا تستخدم عبارات ثلاث لتعـريف المعاملة التى عـانى منها اليهـود على أيدى النـازيين وهى : الإبادة الجمـاعية ، والهـولوكـوست والشُواه SHOAH .

ولعبـارة « الإبـادة الجماعيـة « معنى محـدد من واقع أصل الكلمـة نفسها وهـو إبادة جنس ما ، وذلك بـافتراض وجود جنس يهـودى كما تدعى العنصرية الهتلرية وكما يؤكده القادة الإسرائيليون حتى الآن .

ولكن هل كانت هناك أثناء الحرب ، « إبادة جماعية » لليهود ؟ .

ولعبارة الإبادة الجماعية معنى محدد في جميع القواميس . فلاروس على سبيل المثال يعطى هـذ التعريف : « الإبادة الجماعيـة هي الإبادة المنظمة لمجموعة عرقية بالقضاء على أفرادها » .

ولا ينطبق هذا التعريق حرفيا إلا في حالة غزو يشوع لأرض كنعان ، حيث جاء فى سفـر العدد أنه بالنسبـة لكل مدينة مفتوحـة « لم يبق بها شريد (أى إنسان حى)» . (العدد ، ٢١ ـ ٣٥) .

وعلى ذلك فقد استخدمت العبارة في نورمبرج بطـريقة خاطئة تمامًا لأن الأمر لا يتعلـق بإفناء شعب بأكملـه والقضاء عليـه كما هـو الحال بالنسبة للإبادات المقدسـة » للعمالقة والكنعايين وغيرهم من الشعوب الأخـرى الـذى تحـدث عنهـا سفـر يشـوع بأنهـا حـدثت في عجلـون وحبرون : « ولم يبق منهم بـاقيًا » (يشوع ، ١٠ ـ ٣٧) أو في حـاصور: «وأمـا الرجـال فضـربوهم جميعًـا بحد السيـف حتى أفنوهم ولم يبقـوا نسمة» . (يشوع ، ١١ ـ ١٤) .

وعلى النقيض من ذلك ، فإن اليهودية (وتعريفها « كنجس » ينتمى إلى القاموس الهتلرى) قد حققت انطلاقة هائلة في العالم منذ عام ١٩٤٥ .

ولا شك أن اليهود كانوا أحد الأهداف المفضلة لهتلر بسبب نظريته العنصرية التى تقوم على تفوق الجنس الآرى، وخلطه المتعمد والمنهجي بين اليهود والشيوعية التى كانت عدوه الرئيسى (وهو ما تشهد عليه عمليات إعدام آلاف الشيوعيين الألمان، ثم عناده وتصلبه ضد السجناء السلاف أثناء الحرب) . وأطلق على هذا الخلط عبارة «اليهودية البلشفية » .

وتوخى منذ إنشاء حزبه « القومي ـ الاشتراكى » (النازى)، ليس فحسب) استئصال الشيوعية، بل وطرد جميع اليهود من ألمانيا أولا ، ومن كل أوروبا بعد أن يسيطر عليها . وحدث هذا بطريقة بعيدة كل البعد عن الإنسانية : أولا بالتهجير، ثم بالنفى ، وأثناء الحرب ، بالحبس في معسكرات الاعتقال في ألمانيا أولاً، ثم بالإبعاد نحو مدغشقر في بادىء الأمر ثم نحو الشرق في الأراضى المحتلة ، وخاصة في بولندا ، حيث هلك السلاف واليهود والغجر بالأشغال الشاقة في خدمة الإنتاج الحربى ، ثم بالأوبئة الفظيعة للتيفوس التى تدل كثرة المحارق على ضخامتها .

فماذا عن الحساب الختامى لهذا التعنت الهتلرى ضد هؤلاء الضحايا السياسيين أو العنصريين؟

لقد خلّفت هذه الحرب العالمية الثانية . ٥٠ مليونًا من الموتى منهم ١٧ مليونـا من السوفييت و ٩ ملايين من الألمـان . أما بولنـدا والبلدان الأخرى المحتلة في أوروبا ، وكذلك مـلايين الجنود من أفريقيا وآسيا ، فقد دفعوا ثمنًا باهظًا بموت عدد كبير منهم .

وعلى ذلك ، فإن الهيمنـة الهتلـرية لم تكن ، كمـا أشـاعت بعض ألـوان الدعـاية ، حكـرًا على اليهود وحـدهـم ، أو أنهم كانـوا الضحايـا الرئيسيين . فقـد كانت كارثة بشـرية لا مثيل لها للأسف الشـديد ، لأن هتلر طبق على البيض مـا طبقه الاستعمـاريون الأوروبيون منـذ خمسة قرون ، على الملـونين ، ابتداء من هنـود أمريكـا ، الذى استئصل منهم ٦٠ مليونـًا من ٨٠ مليونًا (وبالأشغـال الشاقة كـذلك والأوبئة) وحتى الأفارقة الذين نقل منهم من عشرة إلـى عشرين مليونًا إلى الأمريكتين ، بعـد أن مات منهم ١٠٠ إلـى ٢٠٠ مليون خـلال فتـرة الرق واصطيـاد العبيد السود .

وكانت هذه الأسطورة ترضى الجميـع : فالحديث عن « أكبر عملية إبادة جماعية في التاريخ » كان بـالنسبة للاستعماريين الغربيين ، إنزالاً للستـار على جـرائمهم (قتل الهنـود في أمـريكـا ، والـرقيق السـود) ، وبالنسبة لستالين محوًا لآثار عمليات القمع الوحشية التى قام بها .

[المصـدر: بول مـارى دى لاجورس ، ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ حرب غيـر معروفـة ، باريس ١٩٩٥ ، ص ـ ٥٣٥] .

وكانت الغـايات من ذلك غايات سيـاسية وليست غايات حـربية .

فقد كتب تشرشل ابتداء من ١٩٤٨ في كتابه: الحرب العالمية الثانية (المجلد الرابع): من الخطأ الافتراض بأن مصير اليابان قد تقرر بواسطة القنبلة الذرية ».

ويؤكد الأميرال الأمريكى وليم ليهى في كتابه « كنت هناك » على هذا قائلا: في رأيى أن استخدام هذا السلاح البربرى في هيروشيما ونجازاكى لم يكن عونًا كبيرًا في الحرب ضد اليابان ».

والواقع أن الإمبراطور هيروهيتو كان قد بدأ المفاوضات للاستسلام فى ٢١ مايو ١٩٤٥، مع الاتحاد السوفيتى (الذى لم يكن قد دخل الحرب مع اليابان بعد) ، وذلك بواسطة وزيره للخارجية والسفير السوفيتى مالك.

[المصدر: المرجع السابق ، ص- ٥٣٢].

وكانت واشنجتن على معرفة تامة بنوايا اليابانيين.

وعلى هذا فقد كان الهدف سياسيا لا حربيا ، كما صرح بذلك الوزير الأمريكى للطيران فلنتر شارحًا أن استعمال القنابل الذرية كان هدفه « طرح اليابان أرضًا » قبل دخول روسيا الحرب ». ويلخص الأميرال الأمريكى ليهى في كتابه السابق: « باستخدامنا القنبلة الذرية كأول من استخدمها ، فإننا قد هبطنا إلى مستوى برابرة العصور الوسطى».

وبالنسبة لكل هؤلاء الزعماء ، الذين يستحقون أن يقفوا أمام محكمة

دولية مكونة من دول محايدة كمجرمى حرب بجانب جورنج وعصابته، اكتشفوا لأنفسهم حججًا « بغرف الغاز » و « عمليات الإبادة الجماعية»، وهى حجج لم تكن لتخطر على بالهم أبدًا لتبرير جرائمهم ضد الإنسانية أو محوها على الأقل.

وكتب المؤرخ الأمريكى أولبريت، الذى كان مديرًا للمعهد الأمريكى للبحوث الشرقية، في كتابه الأساسى، « من العصر الحجرى إلى المسيحية. والوحدانية وتطورها »، وبعد أن برر « الإبادات الجماعية المقدسة » ليشوع فى غزوه لكنعان، يقول « إننا نحن الأمريكان ليس لنا الحق في الحكم على الإسرائيليين.. لأننا قد أبدنا... آلاف الهنود داخل الأركان الأربعة لبلدنا الكبير وجمعنا من تبقى منهم في معسكرات ضخمة للاعتقال ٢٢٠ (ص ـ ٢٠٥).

وعبارة « هولوكوست » المطبقة على نفس هذه المأساة منذ السبعينات انطلاقا من كتاب إيلى فينزل: « الليل » (١٩٥٨) والتى انتشرت بعد عرض فيلم «الهولوكوست»، تشى هى الأخرى بالرغبة في استغلال الجريمة التى ارتكبت ضد اليهود وجعلها حدثًا استثنائيا لا مثيل له ولا يمكن مقارنته بقتل الضحايا الآخرين للنازية، ولا بأى جريمة أخرى من جرائم التاريخ، لأن معاناتهم وأمواتهم قد اتخذت طابعًا مقدسًا. ومن ثم فإن « لاروس العالمى »(باريس ١٩٦٩ ، ص ـ ٧٧٢) يعرف الهولوكوست كالآتى: « قربان لدى اليهود، تحرق فيه الضحية بالنار تمامًا ».

وبذلك أصبح استشهاد اليهود لا يعادله استشهاد آخر نظرًا لطابعه القرباني الذى أدمجهم ضمن المشروع الإلهى على طريقة صلب المسيح في اللاهوت المسيحى، مفتتحًا بذلك عصرا جديدا، الأمر الذى أتاح لأحد الحاخامات أن يقول: إن إنشاء دولة إسرائيل، هو رد الرب على الهولوكوست ».

ولتبرير الطابع المقدس للهولوكوست كان ولابد من الإبادة التامة واختراع عمليات التنفيذ ثم الحرق.

نعم الإبادة النهائية، ومن أجلها كان لابد من توخى الحل النهائى للمشكلة اليهودية الذى صار إبادة.

ومع هذا فلم يتسن تقديم أى نص يثبت أن « الحل النهائى » للمشكلة اليهودية كان بالنسبة للنازيين هو الإبادة.

ولقد ارتبطت معاداة هتلر للسامية، منذ بياناته الأولى، بمعركته ضد البلشفية (فهو يستخدم دائما تعبير « اليهودية ـ البلشفية ») ؛ وكانت معسكرات الاعتقال الأولى التى أقامها مخصصة للشيوعيين الألمان الذين ماتوا بالآلاف، بما فيهم رئيسهم تيلمان.

أما بالنسبة لليهود، فإنه كان يوجه إليهم اتهامات متناقضة أولاً أنهم من أنشط الحركيين في الثروة البلشفية (تروتسكى، وزينوفييف، كامنيف، . . إلخ)، وأنهم في الوقت ذاته. من أشد الرأسماليين استغلالاً للشعب الألمانى.

وعلى ذلك، فكان من المهم بعد تصفية الحركة الشيوعية، وإعداد التوسع الألمانى نحو الشرق، على طريقة الفرسان التوتونيين، سحق الاتحاد السوفيتى، الأمر الذي ظل شاغله الشاغل من البداية وحتى النهاية، والذى ظهر إبان سطوته على شكل فظاعات حيال المسجونين السلاف (البولنديون والروس). وأنشأ لهذا الغرض أثناء الحرب ضد روسيا، وحدات مكلفة خصصيا للنضال ضد حرب المشايعين السوفييت والقضاء على مفوضيهم السياسيين، حتى لو كانوا مسجونين، ومن بينهم عدد كبير من اليهود الشجعان الذين قتلوا كرفاقهم من السلاف.

ويبرهن ذلك على حدود الدعاية بشأن « المعاداة السوفيتية للسامية». فلا يمكن في آن واحد ادعاء أن السوفييت كانوا يبعدون اليهود عن الوظائف الهامة، والجزم بأن اليهود كانوا يشكلون غالبية «المفوضين السياسيين » للمشايعين الذين تكلفت الوحدات الخاصة بالقضاء عليهم.

أما فيما يتعلق بمجموع اليهود الألمان ثم الأوروبيين، فإن إحدى الأفكار البشعة للنازيين كانت تتمثل في تفريغ ألمانيا ثم أوروبا منهم.

وشرع هتلر في ذلك على خطوات هى:

● الأولى هي تنظيم تهجيرهم في ظروف تسمح له بسلب أموال الأغنياء منهم. (وقد رأينا كيف تعاون زعماء الصهاينة في شركة «ععفرا»

في هذه العملية بالوعد في مقابل ذلك بالحيلولة دون مقاطعة ألمانيا الهتلرية، وعدم المشاركة في الحركة المضادة للفاشية).

● والخطوة الثانية كانت الإبعاد بلا شرط متابعة للمخطط الرامى إلى إرسالهم جميعاً إلى جيتو عالمى، وهو جزيرة مدغشقر بعد استسلام فرنسا. وجرى التخلى عن هذا المشروع لضخامة العملية وصعوبتها في زمن الحرب.

● الاحتلال الهتلرى لشرق أوروبا، ولا سيما بولندا، والذى أمكن التوصل إليه بفضل «الحل النهائى» وهو تفريغ أوروبا من يهودها، بنقلهم بشكل مكثّف إلى معسكرات خارجية، التى ذاقوا فيها أشد أنواع المعاناة والتعذيب، بما فى ذلك التجويع والسير الإجبارى، والمميت للضعفاء، والأشغال الشاقة في ظروف لا إنسانية لخدمة المجهود الحربى الألمانى (وكان معسكر أوشفيتز ـ بيركيناو على سبيل المثال أكبر مركز للصناعات الكيميائية). وأخيرًا الأوبئة، وخاصة التيفوس، التى اجتاحت المعتقلين المنهكين.

فهل من اللازم اللجوء إلى أساليب أخرى لشرح الموت الفظيع الذى حاق بضحايا مثل هذه المعاملة، وبعد ذلك المبالغة في الأرقام بصورة مفرطة، والاضطرار إلى تخفيضها لاحقًا؟.

● وكذلك استبدال اللوحة التذكارية بمعسكر بيركيناو ــ أوشفيتز لتخفيض عدد الموتى من ٤ ملايين إلى مليون؟.

● تغيير لوحة « غرفة الغاز » في داخاو للتوضيح بأنها لم تعمل أبدا.

● أو تغيير لوحة « استاد الشتاء » في باريس للإشارة إلى أن عدد اليهود الذين اعتقلوا فيه كانوا ٨١٦٠ وليس ٣٠٠٠٠ كما جاء في اللوحة الأصلية التى تم سحبها .

[المصدر : لموند ، ١٨ يوليه ١٩٩٠ ، ص ـ ٧].

وليس الغرض مسك دفاتر حسابية مؤلمة ومفجعة. فقتل إنسان بريء واحد سواء أكان يهوديًا أو لم يكن، هو جريمة ضد الإنسانية . ولكن إذا ما كان عدد الضحايا لا أهمية له من هذه الناحية ، فلماذا إذن التمسك منذ ما يزيد على نصف قرن مضى برقم الستة ملايين، في الوقت الذي لا نعتبر فيه أن عدد الضحايا غير اليهود في كاتين ودرسدن وهيروشيما ونجازاكى لا يجوز الاقتراب منه على العكس من الرقم الذهبى الستة ملايين الذى يحظى بالتقديس، رغم ما طرأ عليه من تخفيض بصورة دائمة.

وفيما يتعلق بمعسكر أوشفيتز ـ بيركيناو وحده :

● ٩ ملايين وفقًا لفيلم المخرج الفرنسى آلان رينيه « الليل والضباب »، الذى أخرجه عام ١٩٥٥ ، مع أنه فيلم رائع ومؤثر.

● ٨ ملايين وفقًا « لوثائق خدمة تاريخ الحرب » ـ معسكرات

الاعتقال، الـذى أصدره المكتب الفرنسى للنشر عام ١٩٤٥، الصفحة ٧.

● ٤ ملايين طبقًا للتقرير السوفيتى الذى جعلت منه محكمة نورمبرج دليل إثبات شرعى وفقًا للمادة ٢١ من النظام الأساسى التى تنص على ما يلى: « تكون للوثائق والتقارير الرسمية للجان التحقيق التابعة لحكومات الحلفاء قوة دليل الإثبات الشرعى » ومع أن هذه المادة نفسها تنص على أن « هذه المحكمة لن تطالب بتقديم الأدلة على الوقائع المعروفة للجميع، وستعتبرها أدلة مسلم بصحتها ».

● ٢ مليون حسب ما جاء في كتاب المؤرخ اليهودى ليون بولياكوف « ترانيم الحقد »، ١٩٧٤ ص ـ ٤٩٨.

● مليون وربع حسب ما جاء في كتاب المؤرخ اليهودى راءول هيلبرج، « تدمير يهود أوروبا »، الصادر عام ١٩٨٥، ص ـ ٨٩٥.

والآن وبعد أبحاث تاريخية مطولة قام بها علماء من جنسيات مختلفة، أوجز مدير معهد التاريخ المعاصر في باريس، السيد فرانسو بيداريدا، هذه الأعمال في مقال له صدر بجريدة لموند وعنوانه « تقييم ضحايا أوشفيتز »، خلص فيه إلى أن عدد ضحايا معسكر أوشفيتز يتراوح بين ٩٥٠٠٠٠ على أقل تقدير و ١,٢ مليون على أكثر تقدير.

[المصدر : لموند، ٢٣ يوليه ١٩٩٠].

ويمكن كذلك عمل تقييم لعدد الموتى في المعسكرات الأخرى.

فعلى سبيل المثال، كم كان عدد الموتى في معسكر مجدانيك؟

● مليون ونصف طبقـا للوسى داودوفيتش في كتاب « الحـرب ضد اليهود» ، الصادر في عام ١٩٨٧ ، الصفحة ١٩١ .

● ٣٠٠٠٠٠ حسب لياروش و إبرهارد، ١٩٩١ ، ص ـ ٢١٧ .

● ٥٠٠٠٠ حسب راءول هيلبرج (المرجع السابق) .

وهنا يطرح السؤال التالى . ألا يخدم الدعـاية النازية الحديثة تقديم مثل هذه الحجة : إذا كنتم قد كذبتم بشأن مسألة عدد الضحايا اليهود ، فماذا يمنع أن تكونوا قد بالغتم في جرائم هتلر ؟ » .

ونفس هذه المغالطـات المريبة بشأن أساليب قتل اليهـود، قد تثير الشك أيضًا :

● فالنيويورك تايمـز الصادرة في ٣ يونيه ١٩٤٢ تتحدث عن « مبنى للإعدام » كان يعدم فيها بالرصاص ١٠٠٠ يهودى يوميًا .

● وفى ديسمبـر ١٩٤٥ ، أدخل ستيفـان زينــد اليهـود في حـوض سبـاحـة ضخم يمـر فيـه تيــار كهـربـائى ذو ضغط عـالٍ لصعقهم ، ويضيف : « وبهذا فإن مشكلة إعدام ملايين الرجال قد حُلّت » .

● وثيقـة نـورمبرج رقم ٣٣١١ المـؤرخـة في ١٤ ديسمبـر ١٩٤٥ ، وتشير إلى ضحايا ماتوا بالأبخرة داخل « غرف البخار المحرق » .

● وبعـد شهرين ونصف ، استبـدلت نفس هـذه المحكمة غـرف

البخار المحرق بغرف الغاز.

ولكن الصيغتان الشائعتان في التليفزيون والصحافة والكتب المدرسية هما الإعدام بالزيكلون ب من جهة، والشاحنات المجهزة بمخارج غاز محركات الديزل.

والأمر الذى يؤسف له أن محكمة نورمبرج أو أى محكمة أخرى لم تأمر بإجراء أى معاينة من أجل التحديد النهائى لسلاح الجريمة.

●●●

وهناك مثال آخر مؤسف هو معسكر داخاو. فالفيلم الذى عرض في نورمبرج أثناء المحاكمة بشأن فظاعات النازى، أوضح وجود « غرفة غاز » واحدة فقط. هى غرفة معسكر داخاو. وقد نظمت الزيارات للسياح والطلبة حيث توجد اليوم لوحة تذكارية جاء فيها أن أحدًا لم يلق فيها حتفه بالغاز لأنها لم تستكمل أبدًا!.

وصدر في ١٩ أغسطس ١٩٦٠، بيان عن مارتى بروزات عضو معهد التاريخ المعاصر في ميونيخ، اعترف فيه بأنه لم يحدث أن قتل اليهود أو المعتقلون الآخرون بالغاز في داخاو، أو بريجن ـ بيلسن، أو بوشنفالد.. ولم يبدأ القضاء الجماعى على اليهود بالغاز إلا في ١٩٤١ ـ ١٩٤٢... وقبل كل شيء في الأراضى البولندية المحتلة».

وبالإضافة إلى عمليات القصف الجوى التى ضربت سكان البلدان المشتركة في الحرب، والأشغال الشاقة والنقل الدائم في ظروف لا

إنسانية خلّفت آلاف الجثث في الطريق، وسوء التغذية، والأوبئة، فهل تحتاج هذه المأساة إلى تضخيم للدلالة على قتل اليهود على أيدى النازى؟

وهل الحاجة تدعو والحالة هذه إلى الإبقاء بأى ثمن على هالة القداسة للهولوكوست، والتلويح بشبح « غرف الغاز »؟.

ورغم وجود خلط لدى الناس من ذوى النيات الطيبة بين «محارق الموتى » و « غرف الغاز »، ووجود عدد هام من هذه المحارق في المعسكرات الهتلرية لوقف انتشار وباء التيفوس، فإن هذه المحارق ليست بالحجة الكافية، فهذه المحارق موجودة في المدن الكبرى كباريس (بيرلاشيز) ولندن وفي كل العواصم الهامة، وحرق الموتى فيها لا يعنى بالطبع الرغبة في إبادة السكان. ولذلك فقد اقتضى الأمر إضافة « غرف الغاز » إلى المحارق لإقامة الذرائع والتدليل على الإبادة بالنار. ومع ذلك فلم تتوفر المقتضيات المبدئية لإثبات وجودها ولم تسمح معاينة « سلاح الجريمة » بالعثور عليها.

وقد خدع الإخراج الذى أحاط بمعسكر داخاو آلاف الأطفال الذين كانوا يقتادون إلى هناك لتلقينهم عقيدة الهولوكوست، ناهيك عن الكبار وقدماء المعتقلين !.

وكانت غرفة الغاز في داخاو هى الوحيدة التى عرضت بالصور على المتهمين في نورمبرج، بوصفها من أماكن الإبادة الجماعية، ويبدو أنهم اقتنعوا بذلك باستثناء جورنج وستريشر.

٣ ـ أسطورة « أرض بلا شعب لشعب بلا أرض »

« لا يوجد شعب فلسطينى.. وكأننا نحن الذين جئنا لإخراجه من دياره والاستيلاء على بلده . فهم (الفلسطينيون) لا وجود لهم » .

السيدة جولدا مائير

في تصريح لجريدة الصنداى

تايمز اللندنية

بتاريخ ١٥ يونيه ١٩٦٩.

ترتكز الأيديولوجية الصهيونيـة على فرضية واهية وجد بسيطة هى أنه قد جاء في سفر التكوين (١٥ / ١٨ ـ ٢١) . ما يلى :

« في ذلك اليوم بتّ الـرب مع « أبرام » عهـدًا قائلاً : لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات » .

وانطلاقًا من ذلك ، ودون التساؤل عن مـاهية هذا العهد ولمن صدر الوعد أو أن الاختيار كان غير مشـروط ، أعلن الزعماء الصهاينة ، حتى ولو كانوا لا أدرين أو ملحدين أن فلسطين قد أعطيت لنا من الرب .

وتشير الإحصائيات ، حتى إحصائيات الحكومة الإسرائيلية أن ١٥٪ من الإسرائيلين فقط هم من المتـدينين . ولكن هذا لا يمنع ٩٠ ٪ منهم التأكيد على أن هذه الأرض قد منحها لهم الرب . . الذى لا يؤمنون به .

ولا تمـارس الغالبيـة العظمى للإسـرائيليين الحاليين الطقـوس ولا العقيدة الـدينية ، ولا تضم مختلف « الأحزاب الـدينية » التى تلعب مع ذلك دورًا حـاسمًـا في دولـة إسرائيـل ، سوى أقليـة ضعيفـة جـدًّا من المواطنين .

وشـرح ناثـان وينستوك هـذا التنـاقض في كتابـه « الصهيـونية ضـد إسـرائيل » قـائلاً : لو ألغينـا مفـاهيم « الشعب المختـار » و « الأرض الموعودة » لانهارت الصهيونية من أساسها » .

[المصدر : الصهيونية ضد إسرائيل ، باريس ١٩٦٩ ، ص ٣١٥] .

« إن هذا البلد وجد كوفاء لـوعد أخذه الرب على نفسه . ومن المثير

للسخرية محاسبته على شرعيته. وتلك هى البديهية المسلم بصحتها والأساسية التى وضعتها جولدا مائير ».

[المصدر : لموند ، ١٥ أكتوبر ١٩٧١].

« لقد وُعدنا بهذه الأرض ، ولنا حق فيها ». كما يقول بيجين .

[المصدر: تصريح بيجين في أوسلو، صحيفة دافار ، ١٢ ديسمبر ١٩٧٨].

ولا شك أن بن جوريون يشير إلى سابقة « صيد الهنود » في أمريكا لطردهم والاستيلاء على أراضيهم عندما قال بوضوح : « إن الأمر لا يتعلق بالحفاظ على الوضع الراهن ، فأمامنا مهمة إنشاء دولة نشيطة ودينامية موجهة نحو التوسع ».

وتتطابق الممارسة السياسية مع النظرية الغربية التى مفادها : الاستيلاء على الأرض بطرد سكانها كما فعل يشوع ، خليفة موسى .

وقد أعلن مناحم بيجين ، وهو أشدهم إيمانًا بالتقاليد التوراتية : أن أرض إسرائيل الكبرى ستعود إلى شعب إسرائيل ، كلها وللأبد ».

[المصدر : مناحم بيجين ، العصيان ، قصة الأرجون ، ص ـ ٣٣٥].

وهكذا ومنذ البداية ، تضع دولة إسرائيل نفسها فوق كل قانون دولى .

ولما فرضت إسرائيل على منظمة الأمم المتحدة في ١١ مايو ١٩٤٩ بإرادة الولايات المتحدة ، فإنها لم تقبل عضوا إلا بثلاثة شروط هى :

١ ـ عدم المساس بوضع مدينة القدس .

٢ ـ السماح للعرب الفلسطينيين بالعودة إلى ديارهم .

٣ ـ احترام الحدود التى وضعها قرار التقسيم .

ولكن بن جوريون أعلن في معرض حديثه عن هذا التقسيم وعن القرار الذى اتخذته الأمم المتحدة : « ترى دولة إسرائيل أن قرار الأمم المتحدة الصادر في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ ، يعتبر باطلاً وكأنه لم يكن » .

وتتطابق السياسة تمامًا مع قانون الغاب هذا : إن تقسيم فلسطين المنبثق عن قرار الأمم المتحدة لم يحترم أبدًا .

وقرار تقسيم فلسطين هذا يشى بمخططات وأهداف الغرب بشأن «قاعدته المتقدمة » ، فاليهود في ذلك التاريخ لم يكن يمثلون سوى ٣٢٪ من السكان ، ولا يملكون سوى ٦ , ٥ ٪ من الأرض ، ومع هذا فقد حصلوا على ٥٦ ٪ من الأراضى ذات التربة الخصبة . ولقد تم التوصل إلى هذه القرارات تحت ضغط من الولايات المتحدة . فقد مارس الرئيس ترومان ضغطًا لا مثيل له على وزارة الخارجية الأمريكية . وفي ذلك يقول وكيل هذه الوزارة سومنر ويلز: بأمر مباشر من البيت الأبيض ، كان على الموظفين الأمريكيين ممارسة ضغوط مباشرة أو غير مباشرة . . لضمان الأغلبية اللازمة عند التصويت النهائى » .

[المصدر سومنرويلز، « علينا ألا نخفق »، بوسطون، ١٩٤٨ ، ص ـ ٦٣] .

ويؤكد جيمس فورستال، وزير الدفاع آنذاك ، أن : « الأساليب المستخدمة للضغط ، ولإكراه الدول الأخرى في الأمم المتحدة، أَشْفَتْ [قاربت] على الفضيحة» .

[المصدر: مذكرات فورستال، نيويورك، ١٩٥١، ص-٣٦٣] .

وقد تم أيضا تعبئة قوى الاحتكارات الخاصة لهذا الغرض . ومع ذلك ، فقد انتهكت هذه القرارات المتحيزة ابتداء من عام ١٩٤٨ .

فكلما احتج العرب على هذا الظلم ورفضه ، تمادى الزعماء الإسرائيليون في استغلال ذلك للاستيلاء على أراضٍ جديدة ، لا سيما يافا وعكا ، بحيث سيطر الصهاينة في ١٩٤٩ على ٨٠٪ من البلاد ، وطُرد ٧٧٠,٠٠٠ فلسطيني منها .

وكان الأسلوب المستخدم والمتبع هو أسلوب الترهيب والتخويف .

والمثل الصارخ على ذلك هو دير ياسين . ففي التاسع من أبريل ١٩٤٨ ، بطريقة مماثلة لطريقة النازى في أورادور، قتل أهالى هذه القرية البالغ عددهم ٢٥٤ نسمة (الرجال والنساء والأطفال والشيوخ) على أيدى قوات الأرجون التى كان يرأسها مناحم بيجين .

ويقول مناحم بيجين إنه بدون « الانتصار » في دير ياسين ، ما قامت دولة إسرائيل « فقد قامت الهاجانة بهجمات مظفرة على جبهات أخرى . . وكان العرب الذين أصابهم الهلع يهربون وهم يصيحون : دير ياسين » .

وقد اعتبر «غائبا» كل فلسطيني غادر منزله قبل أول أغسطس ١٩٤٨ . وبهذه الطريقة صودر ثلثا الأراضي المملوكة للعرب (٧٠٠٠٠ هكتار من ١١٠٠٠٠). وعندما صدر في عام ١٩٥٣ ، قانون حيازة العقارات، حدد التعويض حسب قيمة الأراضي في عام ١٩٥٠ ، مع أن الجنيه الإسرائيلي كان قد فقد قيمته بمعدل خمس مرات .

وكانت الأمم المتحدة قد عينت وسيطًا هو الكونت فولك برنادوت ، الذي وصف في تقريره الأول السلب الصهيوني على النطاق الواسع وتدمير القرى دون ضرورة عسكرية ملحة .

وقدم هذا التقرير في ١٦ سبتمر ١٩٤٨ . وفي ١٧ سبتمر ١٩٤٨ ، اغتيل الكونت برنادوت ومساعده الفرنسي الكولونيل سيرو، في الجزء الذي يحتله الصهاينة من القدس .

ولم تكن هذه أول جريمة صهيونية ضد من يتجاسر على فضح تضليلهم وغشهم .

فقد أعلن اللورد موين ، الوزير المفوض البريطاني في القاهرة ، أمام مجلس اللوردات في ٩ يونية ١٩٤٢ ، إن اليهود ليسوا أحفاد العبرانيين القدماء ، وأنهم لا يملكون المطالبة الشرعية بالأراضي المقدسة . وفي ٩ نوفبر ١٩٤٤ ، اغتيل اللورد موين في القاهرة على يد اثنين من أفراد جماعة شتيرن (التابعة لإسحق شامير) .

كما حلت دولة إسرائيل محل المستعمرين القدماء وبنفس الأساليب في الزراعة وغيرها ، وبذلك تواصل النظام الاستعماري

وتفـاقم . ويعتـــرف الـدكتـور روزنفيلـــد في كتـابـه «العمـــال العـرب المهـاجرون» الـذى نشرتـه الجامعـة العبريـة في ١٩٧٠ ، بأن الزراعـة العربية كانت أكثر ازدهاراً وقت الوصاية البريطانية منها اليوم .

وظهر التمييز العنصـرى كذلك في إطار سياسة الإسكـان . فقد ذكر إسـرائيل شاحـاك ، الأستاذ بنفس هـذه الجامعـة العبريـة في كتابـه : «عنصرية دولة إسرائيل » (ص ٥٧) أنه يوجد في إسرائيل مدن بأكملها (كارمل ، ونزارت ، وإليت ، وهتزور وأراد وميتزفين ـ رامن وغيرها) يحرم القانون أن يقطنها غير اليهود .

وقد انعكست هذه السياسة كذلك على الثقافة والتعليم .

ونحن هنـا في صميم المنطق الصارم للنظـام الصهيونى وهـو كيفية خلق أغلبية يهـودية في بلد تسكنه طـائفة عربية فلسطينيـة من السكان الأصليين؟

وطرحـت السياسة الصهيـونية الحل الـوحيد المنبثـق عن برنـامجها الاستعمارى الاستيطـانى : إنشاء مستعمرة إسكـان بطرد الفلسطينيين ، ودفع عجلة الهجرة اليهودية .

وقد كـان طرد الفلسطينيين والاستيـلاء على أرضهم عمليـة متعمدة ومنظمة . فالصهاينة أيام وعـد بلفور في ١٩١٧ ، كان لا يملكون سوى ٢,٥ ٪ من الأراضى ، ولدى صـدور قرار « تقسيم » فلسطين ، ٦,٥ ٪ أما في عام ١٩٨٢ ، فإنهم كانوا يملكون ٩٣ ٪ من الأراضى ! .

وكانت الطرق المستخدمة لانتزاع الأراضى من سكانها الأصليين، هى نفسها طرق الاستعمار القاسية مع إضفاء الصبغة العنصرية المتميزة في حالة الصهيونية.

وقد اتخذت الخطوات الأولى طابع الاستعمار الكلاسيكى، أى استغلال اليد العاملة المحلية. وكان هذا هو أسلوب البارون إدوارد روتشيلد، وهو الأسلوب الذى كان يستخدمه في زراعته للعنب في الجزائر، والمتمثل في اليد العاملة الرخيصة للفلاحين، ولما مدّ أعماله إلى فلسطين، فإنه استغل في زراعاته للعنب، عربا آخرين هم الفلسطينيون.

وحدث نوع من التحول في المنحنى نحو عام ١٩٠٥، عندما وصلت من روسيا موجة جديدة من المهاجرين في أعقاب سحق ثورة ١٩٠٥. فبدلاً من مواصلة الكفاح إلى جانب الثوار الروس الآخرين في روسيا، فروا إلى فلسطين حاملين معهم نوعًا غريبًا من « الاشتراكية الصهيونية ». حيث أنشأوا تعاونيات حرفية وكيبوتزات للفلاحين بعد أن استبعدوا الفلاحين الفلسطينيين لخلق اقتصاد يستند إلى طبقة عاملة وزراعية يهودية. ومنذ ذلك الحين، ارتبط الأمر باستبدال الشعب الفلسطينى بشعب آخر، وبطبيعة الحال الاستيلاء على الأرض.

وكانت نقطة الانطلاق الكبرى هى إنشاء « الصندوق القومى اليهودى » في عام ١٩٠١، الذى كان له طابعه الخاص المتمثل في أن

الأرض التى تقع في حـوزتـه لا يمكن إعـادة بيعهـا ولا تأجيـرهـا لغيـر اليهود، لأنها أصبحت أراضى إسرائيل ».

وثمة إجـراء آخر وهـو استخدام « قـوانين الطوارىء » التى أصـدرها الإنـجليز في عام ١٩٤٥ ضد اليهود والعرب.

وقد احتج القـانونى اليهودى برنـارد جوزيف ضد هذا التشـريع عند صدوره لأن المواطن أصبح عرضـة للحبس مدى الحياة دون محاكمة. وقد طبق هذا الشخص نفسه هذه القوانين ضد العرب عندما تولى وزارة العدل في إسـرائيل. وفيما يتعلق بهـذه القوانين كذلـك، فإن جوزيف شبيـرا أعلن فى مظـاهـرة احتجـاج فـي شـوارع تل أبيب في ٧ فبـرايـر ١٩٤٦، أن هذا التشريع لا مثيـل له في البلدان المتمدينة، ولـم توجد حتى في ألمـانيا النازيـة قوانين ممـاثلة ». ونفس هـذا الشخص الذى أصبح نائبًا عـاما ثم وزيرًا للعدل في دولة إسـرائيل، طبق هذه القوانين ضد العرب ومبررًا ذلك بأن حالـة الطوارىء لم تلغ منذ ١٩٤٨ في دولة إسرائيل.

وكتب شيمون بيـريز في صحيفة دافـار بتاريخ ٢٥ ينايـر ١٩٧٢ ما يلى: « إن استخدام القـانون ١٢٥ (وهو قـانون الطوارئ) الـذي تقوم عليه الحكومة العسكرية، هو استمرار مباشر للنضال من أجل التأصيل اليهودى والهجرة اليهودية ». أما المرسوم الخاص بزراعة الأراضى البور، الصادر في عام ١٩٤٨، والمعدل في ١٩٤٩، فقد أبـاح لوزير الزراعة دون التذرع بـالحجج، مصادرة الأراضى المهجورة. ولكن ما قـامت به

القوى الصهيونية من تفريغ للأرض من سكانها العرب بالطرد والترويع والمذابح كما حدث في دير ياسين عام ١٩٤٨ ، ثم في كفر قاسم عام ١٩٥٦ ، قد « حرر » أراضي شاسعة تخلى عنها أصحابها من العرب ، وأعطيت للمحتلين اليهود.

ولمحو ذكرى وجود السكان الزراعيين الفلسطينيين والتأكيد على أسطورة « بلاد صحراء » ، دُمّرت القرى العربية وهُدِّمت منازلها وأسوارها وحتى قرافاتها وقبورها . وقد أورد الأستاذ إسرائيل شاحاك عام ١٩٧٥ قائمة بأسماء ٣٨٥ قرية عربية دمرت بالبولدوزر، وذلك من بين ٤٧٥ قرية كانت مسجلة في عام ١٩٤٨ . وقال وليتسنى الإقناع بأن فلسطين قبل إسرائيل لم تكن سوى « صحراء »، دكت مئات القرى بالبولدوزر وسويت بالأرض بيوتها وأسوارها وقرافاتها وقبورها».

[المصدر : إسرائيل شاحاك، عنصرية دولة إسرائيل، ص ١٥٢ وما بعدها].

واستمر زرع المستوطنات الإسرائيلية وازداد منذ ١٩٧٩ في الضفة الغربية، وطبقا للتقاليد الاستعمارية الكلاسيكية وهى تسليح المستوطنين . وكانت النتيجة الإجمالية هى الآتى : بعد طرد مليون ونصف مليون فلسطيني، أصبحت «الأرض اليهودية » كما يقول العاملون في «الصندوق القومى اليهودى »، تمثل اليوم ٩٣٪ من فلسطين بعد أن كانت ٦,٥٪ عام ١٩٤٧ .

وقد حُرِّف « قانون العودة » لصالح اليهود . فأى يهودى قادم من أى مكان يصبح مواطنًا إسرائيليا بمجرد ما تطأ أقدامه مطار تل أبيب ، أما

الفلسطينى المولود في فلسطين ومن أبوين فلسطينيين ، فيجوز اعتباره عديم الجنسية .

ويقولون إن ليس في هذا أى تمييز عنصرى ضد الفلسطينيين ولكن مجرد إجراء في صالح اليهود ! .

والواقع أن من استقروا في إسرائيل ، فإن القليل منهم من جاء للوفاء « بالوعد » . وهذا من حسن الحظ ، لأن اليهود قد لعبوا دورًا بارزًا في كل بلدان العالم وفي كل ميادين الثقافة والعلوم والفنون ، ومما يحز في النفس أن تتوصل الصهيونية إلى تحقيق الغرض الذى وضعه المعادون للسامية وهو انتزاع اليهود من أوطانهم وحبسهم داخل جيتو عالمى .

فقد كان هناك ٢٥٠٠٠ يهودى عام ١٨٨٠ في فلسطين من بين ٥٠٠٠٠٠ نسمة من السكان .

وابتداء من عام ١٨٨٢ ، بدأت الهجرات الكبرى عقب عمليات ذبح اليهود في روسيا القيصرية .

وعلى ذلك فمن عام ١٨٨٢ وحتى عام ١٩١٧ ، وصل ٥٠٠٠٠ يهودى إلى فلسطين . ثم جاء المهاجرون البولنديون ويهود المغرب هربًا من الاضطهاد ، وذلك بين الحربين العالميتن .

ولكن أهم مجموعة ضخمة كانت المجموعة القادمة من ألمانا بسبب معاداة هتلر للسامية ، فوصل نحو ٤٠٠٠٠٠ يهودى إلى فلسطين قبل عام ١٩٤٥ .

وفي عام ١٩٤٧ ، وعشية إنشاء دولة إسرائيل ، كان هناك ٦٠٠٠٠٠ يهودى في فلسطين من مجموع السكان البالغ قدره مليون وربع مليون نسمة .

وهنا بدأ الاجتثاث المنظم للفلسطينيين . فقد كان هناك قبل حرب ١٩٤٨ نحو ٦٥٠٠٠٠ عربى يعيشون في الأراضى التى ستصبح دولة إسرائيل . وفي ١٩٤٩ ، لم يتبق سوى ١٦٠٠٠٠ . وبسبب الخصوبة الشديدة وكثرة مواليدهم أصبحوا ٤٥٠٠٠٠ في نهاية ١٩٧٠ . وكشفت رابطة حقوق الإنسان في إسرائيل ، أنه في الفترة من ١١ يونيه ١٩٦٧ وحتى ١٥ نوفمبر ١٩٦٩ ، دُمّر ٢٠٠٠٠ منزل عربى بالديناميت في إسرائيل والضفة الغربية .

وكان التعداد البريطانى الذى أجرى في ٣١ ديسمبر ١٩٢٢ ، قد أحصى ٧٥٧٠٠٠ نسمة في فلسطين ، منهم ٦٦٣٠٠ من العرب (٥٩٠٠٠٠ من العرب المسلمين ، و ٧٣٠٠٠ من العرب المسيحيين) و ٨٣٠٠٠ يهودى (أى : ٨٨٪ من العرب و ١١٪ من اليهود) . والجدير بالذكر أن هذه « الصحراء » المزعومة كانت تصدر الحبوب والموالح . فقبل الصهاينة ، كان « البدو » يصدرون ٣٠٠٠٠ طن من القمح سنويا ، وزادت مساحة الأراضى المزروعة بالفواكه ثلاث مرات من ١٩٢١ إلى ١٩٤٢ ، وبالبرتقال وغيره من الموالح ، وتضاعفت سبعة مرات ، فيما بين ١٩٢٢ و ١٩٤٧ ، وتضاعف الإنتاج عشرة مرات فيما بين ١٩٢٢ و ١٩٣٨ .

وجاء في تقرير بيل الذي قدم إلى البرلمان البريطانى في يوليه ١٩٣٧ ، بشأن صادرات الدول من سلال البرتقال الشتوى، جاء ما يلى :

فلسطين : ١٥ مليون سلة .

الولايات المتحدة: ٧ ملايين سلة .

إسبانيا: ٥ ملايين سلة .

بلدان أخرى (قبرص، مصر ، الجزائر، . . إلخ) ٣ ملايين .

[المصدر: تقرير بيل، ص ٢١٤].

وكتبت صحيفة اديعوت أحرونوت اليومية ، ذات أكبر توزيع في إسرائيل تقول :

« منذ السبعينات ، لم يحدث مثل هذا التسريع بالإنشاء والتشييد في الأراضى (المحتلة) فاريل شارون مشغول بإنشاء مستوطنات جديدة، وتطوير المستوطنات الموجودة، وبناء الطرق وإعداد مساحات جديدة للبناء » .

ومن الوهم الاعتقاد في أى « استقلال ذاتى » حقيقى للفسلطينيين مع الإبقاء على المستوطنات اليهودية في الأراضى المحتلة ، وحمايتها بالجيش الإسرائيلى ، وتسليح المستوطنين، فهذا يجعل من المستحيل قيام أى سلام طالما استمر الاحتلال في الواقع .

وتبذل الجهود الرئيسية للاستيطان الاستعمارى في القدس بهدف جعل قرار ضمها بالكامل نهائيا ولا رجعة فيه، وهو ما شجبته الأمم المتحدة (بما في ذلك الولايات المتحدة!) .

إن المستوطنات الاستعمارية في الأراضى المحتلة هى انتهاك فاضح للقوانين الدولية وخاصة اتفاقية جنيف الصادرة في ١٢ أغسطس ١٩٤٩، والتى تنص المادة ٤٩ منها على ما يلى: « لا تستطيع القوى المحتلة القيام بأى نقل لجزء من سكانها المدنيين إلى الأراضى التى تحتلها » .

وحتى هتلر لم ينتهك القانون الدولى، فهو لم يُسكِّن أى مستوطن مدنى ألمانى في الأراضى التى طرد منها الفلاحين الفرنسيين .

وحجة « الأمن » و « إرهاب » الانتفاضة، هى حجج واهية، والأرقام تتحدث عن نفسها في هذا الصدد : فقد قتل ١١١٦ فلسطينيا منذ بداية الانتفاضة (ثورة الحجارة)، في ٩ ديسمبر ١٩٨٧، وبرصاص العسكريين والشرطة والمستوطنين .

والمصادر العسكرية تتحدث عن ما يقرب من عشرين ألفا من الفلسطينيين الجرحى، أما الأونروا فتتحدث عن تسعين ألفا .

وحسب المنظمات الإنسانية، اعتقل ١٥ ألف فلسطينى في ١٩٩٣ في السجون وفي مراكز الاعتقال التابعة للجيش الإسرائيلى . وتوفى ١٢ فلسطينيًّا في السجون الإسرائيلية منذ بداية الانتفاضة وفي ظروف

غامضة . وتشير هذه المنظمات الإنسانية أيضا إلى أنه قد جرى تعذيب ٢٠ ألف فلسطينى على الأقل أثناء الاستجوابات .

وهذا الكم الهائل من انتهاكات القانـون الدولى مرجعه نظرة إسرائيل إلى القانـون الدولى الذى يعتبـر بالنسبـة لها مجرد « قصـاصة ورق » لا قيمـة لهـا ، أو كمـا يقـول « الأستـاذ إســرائيل شـاحـاك » : «لأن هـذه المستـوطنـات ، بطبيعتهـا ، تنـدرج ضمن نسق متكـامل ، من النهب والسلب ، والتفرقة والفصل العنصرى » .

[المصدر: المرجع السابق ، ص ـ ٢٦٣].

●●●

ثالثًا
الاستخدام السياسى للأسطورة

١ـ اللوبى فى الولايات المتحدة

« إن تأثير رئيس الوزراء الإسرائيلى على السياسة الخارجية للولايات المتحدة في الشرق الأوسط يفوق بكثير تأثيره في بلده ».

بول فندلي «يتجرؤن علي الكلام» ؛ ص ٩٢

كيف أثارت هذه الأساطير العقائد التى يصعب اقتلاعها من أذهان ملايين الناس من ذوى النيات الطيبة؟

ــ بإنشاء اللوبيات القوية القادرة على توجيه أفعال السياسيين وتكييف الرأى العام. وتتلاءم طرق العمل مع ظروف كل بلد.

ففى الولايات المتحدة حيث يعيش ٦ ملايين من اليهود ، فإن الصوت الانتخابى اليهودى » يمكن أن يكون حاسمًا ، لأن غالبية الناخبين (بسبب الرقم المرتفع للممتنعين عن التصويت وانعدام المشاريع الشاملة المتباينة بين الحزبين) تتوقف على أقل القليل ، ويمكن إحراز الفوز بفارق بسيط .

وبالإضافة إلى أن قابلية الرأى العام للتبخر والتى تتوقف إلى حد كبير على « مظهر » المرشح أو على مهارة أدائه في التليفزيون ، ترتهن أيضا بميزانيات لجانه و إمكانيات « تسويقه » السياسى .

وأقوى لوبى معترف به في الولايات المتحدة هو « إيباك » (لجنة الشئون العامة الأمريكية ـ الإسرائيلية) .

ولقد كانت قـوة الصهاينة في الولايات المتحدة على أشـدها بالفعل عام ١٩٤٢ ، بحيث قرر الاتفـاق الذى أبرم فى فندق بلتيمـور بنيويورك أنـه ينبغى الانتقال من فكـرة « وطن يهـودى في فلسطين» (وهو الـذى وعـد به بلفـور) ، إلى إنشـاء دولة يهـوديـة ذات سيادة. وهنـا تكمن الازدواجية التى عـرفت بها الصهيونيـة طوال تـاريخها. فالجميع كـانوا يتحدثـون عن «وطن » كما لو كـان الأمر يتعلق بمقـر روحى أو ثقافى ، ولكنهم كانوا يفكرون في الواقع في « دولـة » ، كهرتزل نفسه . وإلى هذا أشـار الجنـرال سمطس ، عضـو حكومـة الحـرب ، عنـدمـا أعلن في جوهانسبرج بتاريخ ٣ نوفمبر ١٩١٥ : « خلال الأجيال القادمة ، سترون قيام دولة يهودية كبرى مرة أخرى هناك (أى في فلسطين) » .

وكتب لورد كيرزون في ٢٦ يناير ١٩١٩ يقول : « بينما ويزمان يقول شيئا ، وأنت تفكر أن هذا الشيء هو « وطن قـومى يهودى » ، فإنه يرمى إلى شيء آخـر مختلف تمـامـا ، إنـه يتطلع إلى دولـة يهـوديـة ، وإلى إخضاع السكـان العرب لحكم اليهود. إنـه يسعى إلى تحقيق ذلك من وراء الستار ، وبحماية الضمان البريطانى » .

وقد شرح ويزمـان بوضوح للحكومة البريطانيـة أن هدف الصهيونية هو إنشـاء « دولة يهودية » (بهـا أربعة أو خمسة ملايين يهـودى) . وقد أعطاه لـويد جورج وبلفور التأكيـدات على أنه باستخـدام عبارة « وطن قومى » فى إعلان بلفور ، فإننا نقصد بذلك دولة يهودية » .

وفي ١٤ مـايو ١٩٤٨ ، أعلن بن جـوريون في تل أبيب استقـلال : «الدولة اليهودية في فلسطين والتى ستسمى : إسرائيل » .

وحول الاختـلاف في الرأى بين بن جوريـون الذى كان يـرى أنه من الـواجب على كل يهودى في العـالم القدوم للعيش في هـذه الدولـة ، وبين المنادين بـأن نشاط اليهود في الـولايات المتحـدة يعتبر أهم وفي صالح إسرائيل نفسها ، فقد نجح هذا التيار الأخير في ذلك ، ولـم يستقر في إسـرائيل سوى ٥٤٠٠ يهـودى من بين ٣٥٠٠٠ أمريكى أو كنـدى هاجروا إلى إسرائيل .

[المصـدر : ملفين روفيسكى ، اليهـوديـة الأمـريكية وإسـرائيل ، نيـويـورك ، ١٩٧٨ ، ص ـ ٢٦٥] .

وقبلت إسرائيل في الأمم المتحدة بفضل الضغوط الوقحة للوبى .

وعن قوة اللـوبى الصهيونى « والصـوت الانتخابى اليهـودى » صرح الرئيس ترومان نفسه أمام مجمـوعة من الديبلوماسيين في عام ١٩٤٦ : « آسف أيها السادة ، ولكن علىّ أن أستجيب لمئات الآلاف من الناس الـذين ينتظـرون فـوز الصهيـونيـــة ، وليس لـدى آلاف العـرب من بين ناخبي» .

[المصـدر : وليم إيـدى ، روزفلت وابن ســعود ، نيــويـورك ، ١٩٥٤ ، ص ـ ٣١] .

ويشهد رئيس الوزراء السابق كلمنت إتلى على ذلك بقوله :

« إن سياسة الولايات المتحدة في فلسطين يشكلها الصوت الانتخابى اليهودى، والإعانات المقدمة من العديد من الشركات اليهودية الكبرى».

وقد أوقف أيزينهاور بالاتفاق مع السوفييت ، العدوان الإسرائيلى في عام ١٩٥٦ (بدعم من الزعماء الإنجليز والفرنسيين) على قناة السويس.

ولم يبد السناتور كنيدى أى حماس حيال هذه المسألة. ولكن الرابطات اليهودية استطاعت في عام ١٩٦٠ أن تبيّن له أن موقف أيزنهاور في مسألة السويس كان سيئًا وأن ترومان كان يسير في الطريق السليم.. وأخذ كنيدى بهذه النصيحة عندما اختير مرشحًا للحزب الديمقراطى، وحصل على ٥٠٠٠٠٠ دولار لحملته الانتخابية من اليهود، وعلى ٨٠٪ من أصوات الناخبين اليهود، عين كلوتزنيك، رئيس مؤتمر الرابطات اليهودية في أمريكا، مستشاراً له ».

[المصدر : ملفين روفيسكى، المرجع السابق ، ص ٢٦٥].

وفي أول مقابلة له مع بن جوريون في فندق وولدورف استوريا في نيويورك في ربيع ١٩٦١ ، قال له كنيدى: « أعرف تمامًا أننى انتخبت بفضل أصوات اليهود الأمريكيين. وأنا أدين لهم بانتخابى. وقل لى ماذا علىّ أن أفعله من أجل الشعب اليهودى ».

[المصدر: ادوارد تيفانان : اللوبى، ص ٥٦].

وبعد كنيدى، ذهب ليندن جونسون أبعد من ذلك فقد كتب أحد الدبلوماسيين الإسرائيليين: « لقد فقدنا صديقا كبيرا ولكننا وجدنا أفضل منه. . إن جونسون هو أفضل صديق عرفته الدولة اليهودية فى البيت الأبيض ».

[المصدر: ل. كنيان، خط إسرائيل الدفاعى، بافالو، ١٩٨١ ، ص ٦٦].

فقد ساند جونسون بالفعل حرب الأيام الستة فى عام ١٩٦٧ ، وبكل قوة. ومنذ ذلك التاريخ، دافع ٩٩٪ من اليهود الأمريكان عن الصهيونية الإسرائيلية. « وأن تكون يهوديا اليوم يعنى أن تكون مرتبطا بإسرائيل ».

[المصدر: شالوموا فنيرى، قيام الصهيونية الحديثة، ١٩٨١، ص-٢١٩].

وفى نوفمبر ١٩٨٧ ، صدر القرار ٢٤٢ الذى يقضى بالجلاء عن الأراضى المحتلة أثناء الحرب ، وقام ديجول بعد هذا العدوان بإعلان حظر الأسلحة المرسلة إلى إسرائيل.

وحذا البرلمان الأمريكى حذوه. ولكن جونسون رفعه في ديسمبر تحت ضغط « الإيباك »، وسلَّم إسرائيل طائرات الفانتوم التى طلبتها. وبناء على ذلك، لم توجه إسرائيل النقد لحرب فيتنام.

وعندما حضرت جولدا ماير إلى الولايات المتحدة في عام ١٩٧٩ ،

شبهها نيكسون «بديبورا التوارتية » وكال لها المديح على ازدهار إسرائيل.

[المصدر : ستيفن سبيجل النزاع العربي الإسرائيل الآخر، ١٩٨٥، ص- ١٨٥].

وسلم نيكسون لإسرائيل ٤٥ طائرة فانتوم إضافية إلى جانب ٨٠مقاتلة سكاى هوك.

وتوفى عبد الناصر فى ٨ سبتمبر ١٩٧٠، عرض السادات السلام مع إسرائيل. ورفض موشى ديَّان، وزير الدفاع، على الرغم من معارضة وزير الخارجية أبا إيبان.

وفي ٦ أكتوبر ١٩٧٣، شن السادات الحرب التى سميت باسم «يوم كيبور» (حرب أكتوبر) والتى دمرت سمعة السيدة جولدا مائير واضطرتها إلى الاستقالة في ١٠ أبريل ١٩٧٤، وكذلك موشى ديان.

ورغم ذلك، أحرز لوبى الكابيتول اليهودى في واشنجتن نصرًا كبيرًا بالتعجيل بتسليح إسرائيل: ملياران من الدولارات بحجة مكافحة اللوبى العربى المنافس.

[المصدر: نيف، محاربو القدس، ص-٢١٧].

وأضيفت أموال البنوك اليهودية في وول ستريت إلى المعونة الحكومية.

وحشدت الإيباك وعبأت نفسها من جديد وحصلت في ثلاثة أسابيع على توقيع ٧٦ سناتورا في يوم ٢١ مايو ١٩٧٥ لمطالبة الرئيس فورد بدعم لإسرائيل مثلهم.

أما مسيرة جيمى كارتر فكانت موضوعة: ففى معبد اليزابيث في نيوجرسى ، وكان مرتديًا ثوبًا فضفاضًا من القطيفة الزرقاء، أعلن:

« إننى أعبد نفس الرب مثلكم. ونحن المعمدانيين ندرس نفس التوراة مثلكم». وختم يقول: إن بقاء إسرائيل على قيد الحياة لا ينهض على السياسة، ولكنه واجب أخلاقى ».

[المصدر : التايم، ٢١ يونية ١٩٧٦].

وفي نوفمبر ١٩٧٦ ، حضر ناحوم جولدمان، رئيس المؤتمر اليهودى العالمى، إلى واشنجتن لمقابلة الرئيس ومستشاريه، فانس وبريجينيسكى، وأعطى إدارة كارتر هذه النصيحة غير المتوقعة: حطموا اللوبى الصهيونى في الولايات المتحدة ».

[المصدر : شتيرن ، نيويورك، ٢٤ إبريل ١٩٧٨].

وكان جولد مان قد كرس حياته للصهيونية ولعب دورا هامًّا في اللوبى منذ أيام ترومان، وهو يقول اليوم إن ماكونته بنفسى كانت « قوة مدمرة غاشمة » وعقبة رئيسية « أمام السلام في الشرق الأوسط».

وكان بيجين في الحكم ، فقرر جولدمان نسف سياسته، وإن

استدعى ذلك تدمير مجموعة الضغط التابعة له .

وبعد مضى ست سنوات، أكد سيروس فانس هذه المقابلة وقال: لقد اقترح علينا جولدمان سحق اللوبى ، ولكن الرئيس ووزير الخارجية ردا بأنهما لا يملكان القدرة على ذلك، وأن ذلك قد يفتح الباب على مصراعيه أمام معاداة السامية » .

[المصدر: اللوبى، ١٩٨٧ ، ص-١٢٣] .

وقد رحب رجال الأعمال الأمريكيون باتفاقات كامب ديفيد (سبتمر ١٩٧٨)(حيث عقد السادات سلامًا منفردا مع إسرائيل، لا يمس الضفة الغربية (يهودا وسامرا، الأراضى التوراتية حسب قول بيجين) ولم يتناول سوى سيناء ، وهى بالنسبة لبيجين ، ليست بأرض توراتية .

[المصدر: ستيفان إسحاق، اليهود والسياسة الأمريكية، ١٩٧٤ ، ص- ١٢٢] .

وكان كارتر في عام ١٩٦٨ ، قد حصل على ٦٨٪ من أصوات اليهود ، وفي عام ١٩٨٠ لم يحصل إلا على ٤٥ ٪ فقط، لأنه باع طائرات ف ١٥ لمصر وطائرات أواكس للمملكة العربية السعودية، رغم تأكيداته أن هذه الطائرات لن تستخدم أبدا ضد إسرائيل. ورغم ذلك فقد هزمه ريجان في ١٩٨٠ الذي أفرد وعلى العكس منه ٦٠٠ مليون دولار من الائتمانات العسكرية لإسرائيل. وقد شجع ذلك بيجين على تدمير المحطة العراقية النووية، التى بناها الفرنسيون

متذرعا في ذلك بالأسطورة المقدسة : « لن يكون هناك هو لوكوت آخر أبدا ». وفي ١٧ يولية ١٩٨١ ، قصف بيجين غرب بيروت لتدمير قواعد منظمة التحرير الفلسطينية كما ادعى .

وفي ١٤ ديسمبر ١٩٨١ ، ضم بيجين الجولان. واحتج ريجان على هذا الخرق الجديد للقرار ٢٤٢ ، فثار بيجين وقال: هل نحن جمهورية من جمهوريات الموز، أو دولة تابعة لدولتكم؟ » .

وفي السنة التالية ، اجتاح بيجين لبنان. وأعطى الجنرال هيج وزير الدفاع الأمريكي، الضوء الأخضر لهذا الغزو الذى يهدف إلى فرض حكومة مسيحية في لبنان .

[المصدر : زيف شيف ، حرب إسرائيل في لبنان، ١٩٨٤] .

وقلة هم الأمريكان الذين انتقدوا هذا الغزو، مثلما كانت قلة من اليهود هى التى انتقدت حرب فيتنام. ولكن مذابح صبرا وشاتيلا ، تحت سمع وبصر شارون وإيتان، والصور التى عرضها التليفزيون ، أجبرت اللوبي اليهودى على الكلام والخروج عن الصمت . وانتقد نائب رئيس المؤتمر اليهودى العالمى هرتزبرج ، وعدد كبير من الحاخامات، بيجين فى أكتوبر ١٩٨٢ . واتهم بيجين الحاخام شندلر، الذى أذاع هذا النقد في التليفزيون بأنه « أمريكى أكثر منه يهودى » ، واتهمه بعضهم بأنه عميل .

وبهذه المناسبة ساند المسيحيون الصهاينة فى الاعتداء الإسرائيل، وتسلم رئيسهم جيرى فالول، أعلى الأوسمة الصهيونية وهى جائزة جابوتينسكى على ما أداه من خدمات لإسرائيل، بالإضافة إلى ١٠٠ مليون دولار من الدولة الإسرائيلة و : ١٤ مليون دولار من مؤسسة سواجيرت .

[المصدر: التايم، ١٧ فبراير ١٩٨٦].

وبهذا أصبحت القوة المالية ، وبالتالى السياسية في عالم يباع فيه كل شيء ويشترى ، هى القوة الحاسمة والفاصلة .

ومنذ عام ١٩٤٨، ٠ قدمت الولايات المتحدة لإسرائيل ٢٨ مليار دولار كمساعدة اقتصادية وعسكرية .

[المصدر : مجلة التايم ، يونيه ١٩٩٤].

●●●

وبعد أن اطمأن الزعماء الإسرائيليون على تدفق الأموال من الخارج والمتمثلة في :

١ ـ التعويضات الألمانية والنمساوية .

٢ ـ السخاء غير المشروط للولايات المتحدة .

٣ ـ تحويلات أبناء « الشتات» .

بـدأوا في وضع تصـور لسياستهم الخـارجيـة قائمـة على تطلعـات طموحة لإنشاء « إسرائيل الكبرى »

والشـاهـد على ذلك ، المقـال الـذى نشـرتـه مجلـة « كيفـونيم » (التوجهـات) التى تصدرها في القـدس المنظمة الصهيونية العـالمية ، وعنوانه : الخطط الاستراتيجية لإسرائيل في الثمانينات » .

« إن مصر بوصفها جسـدًا مركزيًا ، فإن هذا الجسـد قد مات لاسيما لو أخذنا في الاعتبار المجابهة التى تزداد بين المسلمين والمسيحيين . كما أن تقسيمها إلى مقاطعات جغرافيـة منفصلة يجب أن يكون هدفنا السياسى في التسعينات ، على الجبهة الغربية .

فإذا مـا تفككت مصر وحـرمت من السلطة المـركزيـة ، فإن بلدانـا أخرى مثـل ليبيا والسودان وغيـرهما مـن البلدان الأبعد ، ستعـرف نفس التفكك . ويعتبر تشكيل دولة قبطية في صعيـد مصر ، هو مفتاح الحل لتطور تـاريخى تأخـر اليوم بسبب اتفاق السـلام ، ولكن لابد منـه على المدى الطويل .

ورغم المظاهـر ، فإن الجبهة الغـربية تمثل مشاكل أقـل من مشاكل الشرق . ويجسد تقسيم لبنـان إلى خمس محافظات . . . ما سيحدث في العالـم العـربى بأسره . وتفكك سـوريا والعراق إلى منـاطق محددة على أسـاس المعاييـر العرقيـة أو الدينيـة ينبغى أن يكون على المـدى

الطويـل هدفا ذا أولـوية لإسـرائيل، على أن تكون الخطـوة الأولى هى تحطيم القوة العسكرية لهاتين الدولتين.

فالهيـاكل العرقيـة في سوريـا تعرضهـا للتفكك الذى قـد يؤدى إلى إنشاء دولـة شيعية على طول السـاحل، ودولة سنيـة في منطقة حلب، وأخرى في دمشق، وكيان درزى قد يرغـب فى تشكيل دولته الخاصة به ــ وربمـا فـوق هضبـة الجـولان ــ وعلى أى حـال مع حـوران وشمـال الأردن . . . ومثل هـذه الدولـة ستصبح على المدى الطـويل، ضمانـا للأمن والسلام في المنطقة. وهو هدف في متناول يدنا بالفعل.

والعـراق الغنى بالبتـرول، والمـرتع للمنازعـات الـداخلية هـو خط التسـديـد الإسرئيلـى. وتفكيكه سيكـون بـالنسبـة لنـا أهـم من تفكيك سوريا، لأنه يشكل على المدى القصير أخطر تهديد لإسرائيل».

[المصدر: كيفونيم، فبراير ١٩٨٢، الصفحات ٤٩ ـ ٥٩].

ورد النص الكـامل باللغـة العبريـة وتـرجمته الفـرنسية في كتـاب: فلسطين: أرض الـرسالات السماويـة، باريـس، ١٩٨٦، الصفحات ٣٧٧ وحتى ٣٨٧).

وعندمـا تصبح أهداف خطـة كيفونيـم بعيدة التحقيق، والمجـابهة محفوفـة بالمخـاطر، فإن اللـوبى الإسرائيلى كان ينجح دائمًـا في دفع الولايـات المتحدة إلى القيام بـالعملية. والحرب ضـد العراق هى مثل صارخ على ذلك.

فقد قامت مجموعتان من مجموعات الضغط إلى دفع الولايات المتحدة إلى شن هذا العدوان :

١ ـ اللوبى اليهودى ، لأن القضاء على صدام حسين سيزيل خطر أقوى بلد عربي . . .

٢ ـ لوبى رجال الأعمال ، الذى كان يعتقد أن الحرب سوف تنعش الاقتصاد الأمريكى . .

[المصدر : آلان بيرفيت، بيرفيت، الفيجارو، ٥ نوفبر ١٩٩٠] .

وكان الزعماء الصهاينة لا يخفون الدور الذى يلعبه اللوبى ويمتدحونه ويشجعون عليه في جميع أحاديثهم .

ولكن الخلط بين اليهودية كدين محترم كغيره، وبين الصهيونية السياسية التى تفترض الولاء غير المشروط لدولة إسرائيل التى حلت محل « رب إسرائيل » سيؤدى حتمًا إلى تغذية معاداة السامية ويشجع على الغطرسة الإسرائيلية .

« منذ عقود ، يحاول اليهود الأمريكان جاهدين إقناع الرأى العام الامريكى أن دعمهم غير المشروط لإسرائيل لا يطعن أو ينال من ولائهم وإخلاصهم تجاه الولايات المتحدة . ولكنه من الصعب الآن أن نثق في ذلك ، فالولاء المزدوج قد اتضح » .

[المصدر : هارتيس ، ١ ديسمبر ١٩٨٥] .

والأمثلة على أن اللوبى الإسرائيلى قد نجح في فرض موقف مضاد

للمصالح الأمريكية ولكنه مفيد لسياسة إسرائيل، لا حصر لها، وهناك من الأدلة مـا يشير إلى الكيفية التى جعلت مطالب الإسـرائيليين تتقدم على مصالح الولايات المتحدة وهاك بعض الأمثلة:

كان رئيس لجنـة الشئون الخـارجية في مجلس الشيـوخ الأمريكى، السناتور فـولبريت، قد قرر مثـول القادة الصهاينة الـرئيسيين أمام لجنة للكشف عن أنشطتهم السرية. وأوجز نتائج تحقيقـه في مقابلة أجراها مع تليفزيون C . B. S فى أكتوبر ١٩٧٣، قـائلا: « إن الإسرائيليين يتحكمـون في سياسـة الكونجـرح ومجلس الشيوخ »، وأضـاف: « إن زملاءنافى مجلس الشيوخ وبنسبـة ٧٠ ٪ منهم لا يحددون مواقفهم إلا تحت ضغط اللـوبى وليس بـرؤيتهم الخـاصـة القـائمـة على مبـاديء الحرية والقانون ».

وفى الانتخابات التالية فقد فولبريت مقعده في مجلس الشيوخ.

ومنـذ ذلـك التـاريخ، زاد اللـوبى من سيطـرتـه على السيـاسـة الأمريكية. وقد وصف بول فندلى اللـوبىَ الصهيونى وقوته وهذا « الفرع الحقيقى للحكومـة الإسرائيلية » يتحكم فعلاً في الكـونجرس ومجلس الشيوخ ورئاسة الجمهـورية ووزارة الخارجية والبنتاجـون (وزارة الدفاع)، وكذلك في وسائل الإعـلام، كما أنه يمارس نفـوذه على الجامعات كما في الكنائس ».

وحـدث أن ألغى مجلس النـواب فـي ٣ أكتـوبـر ١٩٨٤، بأغلبيـة

٩٨٪، كل تحـديد للمبـادلات بين إسـرائيل والـولايات المتحـدة رغـم التقرير المضاد لوزارة التجارة وجميع النقابات .

وفى ٨ يونيـه ١٩٦٧ ، قذف الطيران والبحـرية الإسرائيليان البـاخرة الأمـريكية « ليبـرتى » ، وقتل في هذه العمليـة ٣٤ بحارًا وجـرح ١٧١ ، واعتـذرت الحكومـة الإسرائيليـة عن هـذا الحادث وحفظت القضيـة . وثبت بعد ذلك أن هـذا القذف لم يكن نتيجة خطأ ولكن كـان متعمدًا حتى لا تكتشف خطط إسرائيل لغزو الجـولان . ويفسر الأميرال توماس مـورر سر التغطيـة على هذه الجـريمة قـائلا : كان الـريئس جونسـون يخشى رد فعل النـاخبين اليهـود . . . » ويضيف الأميـرال : «وكـان الشعب الأمريكى سيجن جنونه إذا عرف بما جرى » .

وفي أعقاب اقتراح السناتور بـوب دول بنقل سفارة الولايات المتحدة إلى القدس ، وطلب جامعة الدول العربية عقد اجتماع عاجل لمجلس الأمن ، وتصويت ١٤ دولة من ١٥ على قـرار يطالب رابين بالعدول عن قـرار مصـادرة الأراضي في القـدس الشـرقيـة ، استخـدمت الـولايـات المتحدة للمرة الثلاثين حق الفيتو لمسـاندة إسرائيل . . . وقد أقلق هذا التصرف اللـوبى الذي رأى أن في ذلك عزل للولايـات المتحدة سيقلل من «مصداقيتها كوسيط وحيد في النـزاع العربى ـ الإسرائيلى وفي قيادة المفاوضات مع الفلسطينيين . (جريدة النيويورك تايمز ١٥ / ٥ / ١٩٩٥) .

وفي خلال الاجتماع السنوى للإيبـاك ، شدَّد الرئيس كلينتون ، الذي

دعى لحضوره على ضخامة المعونة العسكرية التى تقدمها الولايات المتحدة لإسرائيل :

« لقد أوفت الولايات المتحدة بوعدها : فالقوة العسكرية لإسرائيل الآن هى الأقوى عنها في أى وقت مضى . . وإن تعاوننا في مجال الاستراتيجية والمخابرات أصبح تعاونًا وثيقًا تمامًا . وأجرينا هذا العام مناورات مشتركة على نطاق واسع ونتوخى التوسع في منشآتنا لتخزين المعدات الحربية في إسرائيل . وقد أبرم البنتاجون عقودًا بأكثر من ٣ ملايين من الدولارات لشراء معدات عالية التكنولوجيا من شركات إسرائيلية . . »

[المصدر : ميدل إيست انترناشيونال، ٢٦ / ٥ / ١٩٩٥].

وكل الوسائل بالنسبة للوبى الصهيونى ملائمة وجيدة، بدءًا من الضغط المالى وحتى الابتزاز الأخلاقى مرورا بمقاطعة وسائل الإعلام والناشرين، والتهديد بالقتل .

وفي ذلك يقول فندلى : « إن أى إنسان ينتقد سياسة إسرائيل، عليه أن يتوقع عمليات انتقام موجعة لا تنتهى ، وحتى فقدان سبل معيشته بواسطة ضغوط اللوبى الإسرائيلى . والرئيس نفسه يخاف منه . والكونجرس يخضع لكل مطالبه . وتحرص أعرق الجامعات على إبعاد كل ما يتعارض معه في برامجها، وتستسلم وسائل الإعلام كما يخضع القادة العسكريون لضغوطه » .

٢ ـ اللوبى في فرنسا :

« يوجد في فرنسا لوبى قوي مناصر لإسرائيل ، يمارس نفوذه وتأثيره في الدوائر الإعلامية خاصة .

وقد أثارت هـذه المقولة الجنرال ديجول في ذلك الـوقت وأثـارت صخبًا شديدًا ، مع أنها تحمل جزءا كبيرا من الحقيقة

[المصدر : فيليب الكسندر، لمباريزيان ليبيريه، ٢٩ / ٢ / ١٩٨٨].

ومنـذ ذلك الحين ، لـم يتخلف أى مـرشح لـرئاسـة الجمهـوريـة الفـرنسيـة ، مهما كـان انتمـاؤه الحـزبى ، من ميشيل روكـار إلى جـاك شيراك ، مرورًا بميتران ، عن الذهاب إلى إسرائيل ليحصل على المباركة و التغطية الإعلامية .

ولقد وصلت القـوة الإعلاميـة للوبى ، ومـركزه اليوم الـرابطة الـدولية لمناهضة العنصرية ومعاداة السـامية « ليكرا » ، إلى الحد الذى تستطيع به أن تتـلاعب بالـرأى العام على هواهـا وحسبما يتـراءى لها ؛ ومع أن السكـان اليهـود في فـرنسـا لا يشكلـون سـوى نحـو ٢٪ من الشعب الفرنسى ، فإن الصهيـونية تهيمن على غالبية متخـذى القرار السياسيين في أجهزة الإعـلام والتليفزيـون والإذاعة ، والصحافـة المكتوبـة ، سواء كانت الصحف اليومية أو الأسبوعية ، والسينما وخاصة مع غزو هوليوود لها ـ وحتى دور النشر (وذلك عن طريق لجان القراءة حيث يتسنى لهم

فـرض الفيتـو)، فقـــد أصبح كل ذلك في أيـديهم، وكـــذلك قطـاع الإعلانات، الوصى المالى على وسائط الإعلام.

ويمكننى أن أطـرح في هـذا الصــدد شهـــادتى الخـاصـة: فحتى ١٩٨٢، كـانت أبـواب دور النشـر الكبرى مفتـوحـة على مصـراعيهـا أمامى، وكذلك التليفزيون والإذاعة والصحافة الكبرى.

وعندما وقع الاعتداء على لبنـان ومذابحه، استطعت أن أحصل من مدير التحريـر السيد جاك فوفيه على موافقته أن أنشر في جـريدة لموند الصادرة في ١٧ يونيه ١٩٨٢، صفحة كاملة مدفوعة الأجر حيث كشفنا أنا والأب ميشيل لولون، والقس ماتيـو، عن مغزى العدوان الإسرائيلى وأبرزنـا المذابح التى وقعت في لبنان، وأوضحنـا أن الأمر لا يتعلق بأى خطأ، بل بالمنطق الداخلـى للصهيونية السياسية التى تقـوم عليها دولة إسرائيل.

وتلقيت سواء بخطـابات مغفلة من الإمضاءات أو بـالتليفون، تسعة تهديدات بالقتل.

ورفعت علينـا « ليكرا » قضيـة بتهمة « العداء للســامية والتحـريض على التمييز العنصرى ».

وقام دفاعنـا على ما جاء في النص نفسه الذى نشرنـاه من أن حياتنا مدينة للأنبياء اليهود، ولكن الصهيونية السياسية استبدلت رب إسرائيل

بدولة إسرائيل . وأن موقفها وتصرفاتها في لبنان وفلسطين تشين اليهودية في عيون العالم . وأن معركتنا ضد الصهيونية السياسية لا تتفاضل عن معركتنا ضد معاداة السامية .

وقام دفاعى أمام المحكمة على ما جاء في دراستى حول «فلسطين ، أرض الرسالات الإلهية » : إن الصهيونية السياسية التى أسسها تيودور هرتزل (والتى أدانها كل حاخامات العالم في ذلك الحين بوصفها نوعا من الخيانة للديانة اليهودية) ، تنبع من القومية الأوروبية والاستعمار في القرن التاسع عشر، ليس من الديانة اليهودية .

وعندما سمعت محامى « ليكرا » وهو يحاول أن يرسم ضدى صورة المعادى للسامية ، عادت بى الذاكرة إلى القدس وأنا أمام حائط المبكى مصحوبا بالوزير الإسرائيلى برزياى وفي بيت ناحوم جولدمان رئيس المؤتمر اليهودى العالمى في ذلك الوقت .

كما عادت بى الذاكرة إلى أيام كنت فى معسكر الاعتقال مع صديقى برنار لاكاش، مؤسس « ليكا » (التى أصبحت « ليكرا ») والذى ساعدنى في إعداد محاضراتى لأصدقائنا حول « أنبياء إسرائيل» .

لقد فرضت الهيمنة شبه الكاملة على أجهزة الإعلام في أمريكا وفرنسا من ظروف الصهيونية الإسرائيلية ، على العالم أجمع هذا الخلط

والقلب للمعـانى ، فـالدفـاع عن الـوطن أصبح إرهـابـا ، أما إذا غـزت إسرائيل لبنان فالعملية تسمى « السلام في الخليل » ! .

وقد سبق للجنرال ديجول في عـام ١٩٦٩ أن ندد « بالنفوذ المفرط » للـــوبى الصهيـونـى في جميع أجهــزة الإعـلام : من الصحــافــة إلى التليفزيون ، ومن السينما إلى صناعـة النشر. وقد نجح اليوم هذا النفوذ المفـرط في إجراء عكس تـام للمعـانى ، وأطلق عبارة « إرهـاب » على المقاومة الشعبية للضعفاء ، « والمعركـة ضد الإرهاب » بالعنف الأشد قتلا للأقوياء .

وقد ارتكبنا ، الأب لولون والقس مايتـو وأنا خطأ كبيرا بفضح أكذوبة هذا الخلـط للمعانى . ولكن المحكمـة برأتنا فـي ٢٤ مارس ١٩٨٣ ، ورفضت القضية وحكمت على « ليكرا » بالمصاريف ، على أساس أن الأمر يتعلق بنقد مشروع لسياسة دولة مـا والأيديولوجية التى تستلهمها ، ولا يتعلق بـالتحريض العنصـرى . . ولكن « ليكـرا » تمادت في غيهـا واستأنفت الحكم ، ولكن المحكمـة العليـا في بـاريس أيـدت الحكم السابق وألزمت « ليكرا » بالمصاريف . وهو ما حدث أيضا في محكمة النقض التى رفضت الطعن وحكمت بالمصاريف .

واسترت عملية الخنق خارج المحـاكم . فاللوبى الصهيونى يمتلك الوسائل . وبدأت التحركات لكتم أنفاسى في وسائل الإعلام . فلم تقبل

مقالاتى وأغلقت جميع أبواب النشر في وجهى، وحُرم عليَّ الظهور في التليفزيون! لقد حُكم عليّ بالإعدام الأدبى!

ومما زاد الطين بلة، صدور قانون فابيوس (رقم ٤٣) المسمى «قانون جيسو» على اسم النائب الشيوعى الذى تبنى هذا القانون الخسيس في مايو ١٩٩٠ والذى يجرم أى تشكيك في الجرائم المقترفة ضد الإنسانية، بإضافة المادة ٢٤ مكرر إلى قانون حرية الصحافة لعام ١٨٨١، جاء فيها: يعاقب بإحدى العقوبات المنصوص عليها في الفقرة السادسة من المادة ٢٤، كل من ينكر.. وجود أى من الجرائم المرتكبة ضد الإنسانية كما وردت في المادة ٦ من النظام الأساسى للمحكمة العسكرية الدولية الملحق باتفاق لندن الموقع في ٨ أغسطس ١٩٤٥».

وبعد مضى عام، اقترح السيد توبون تعديله ولكن دون جدوى محتجا بأن هذا النص يكرس الحقيقة التاريخية بالقانون بدلا من أن يتركها لكى يحكم عليها التاريخ.

ومنذ ذلك التاريخ حُرّم على أى مؤرخ أن يضع استنتاجات محكمة نورمبرج موضع الشبهات أو المراجعة.

وبلغت الأمور ذروتها، عندما قال حاخام فرنسا الأكبر جوزيف سيتروك في القدس أمام رئيس وزراء إسرائيل الأسبق إسحاق شامير

(وهو نفسه الذى عرض خدماتـه على هتلر ، وانتهكت سياسته القانون الـدولى وقـرارات الأمم المتحـدة) : إن كل يهـودى فـرنسى هـو ممثل لإسرائيل ، وتأكدوا أن كل يهودى في فرنسا يدافع عما تدافعون عنه . . . رغم أن فكرة الولاء المزدوج ، لم تدر في خاطرى . . . »

[المصدر: لموند ٩ يوليه ١٩٩٠].

●●●

لقد لوحت الصهيونية دائما بشبح معاداة السامية للإقناع بأنها تهديد مستمر ضد إسرائيل ولضرورة الهرولة لنصرتها ومساعدتها . وثمة سوابق تـاريخية ينبغى أن نستقى منهـا العبـر والدروس ، فهنـاك جهود دؤوبـة ومنظمـة تبذل لتشكيل الـرأى العام وصبـه في قوالب ، بعـد أن يصبح مشبعًا « بالمعلومات » التى توحى بنزعة عرقية تغذى معاداة السامية .

« في بـرلين ، أصبح المسـرح والصحــافـة . . إلخ شأنًـا يهـوديـا : فكبريات الصحف مملوكة لليهود . فإذا ما اتهم الألمان الصحافة بأنها يهودية ، فهذا عين الحقيقة » .

والمثال الصارخ والأخير على ذلك هو حـادث كربنترا الذى وقع في مايـو ١٩٩٠ داخل مقابـر اليهود في مدينـة كربنتـرا ، حيث نبشت فيها المقابر و انتهكت حُرمتها ، وأخرجت جثة أحد الموتى ونقلت إلى مقبرة أخرى .

ولا تزال الحقيقة حول كـربنترا لم تتضح بعد ، وفرض الصمت على

أكثر الشهود أهمية. وكانت هذه فرصة لشن هجوم آخر على كل من تسول له نفسه التشكيك في العقائد التى تضع إسرائيل فوق كل قانون دولى.

●●●

٣ ـ أسطورة «المعجزة الإسرائيلية»

التمويل الخارجى لإسرائيل

« إن قوة اللكمة اليهودية تأتى من القفاز الفولاذى الأمريكى الذى يلفها، والدولارات التى تبطنها».

●●●

[المصدر: يسهايا هوليبوفيتش، اليهودية وإسرائيل ، ص ـ ٢٥٣].

وفيما يتعلق بـالمبالغ التى دفعتها ألمـانيا لدولـة إسرائيل، سأعطى الكلمـة لمن كـان المفاوض الرئيـسى لقيمـة التعـويضات، السـيد ناحـوم جـولدمـان الذى أورد تفـاصيل ذلك في « سيـرته الذاتيـة» التى أهدانى نسخة منها في ٢ أبـريل ١٩٧١ ، لكى يشكرنى على المهـمات التـى قمـت بها، بناء على طلبـه، وقبـل ذلك بسنتين، لـدى جمال عبد الناصر، بعد حرب الأيام الستة.

« فيِ أوائل عـام ١٩٥١ ، دخلت إسرائيل الحلبـة ولأول مرة بتـوجيه مـذكـرتين إلى الحلفـاء الأربعـة بخصـوص المطـالبـات اليهـوديـة. بـالتعويضـات من ألمانيـا الجديـدة والتى بلغت مليار ونصف مليـار دولار، نصفها من ألمـانيا الغربية والنصـف الآخر من ألمانيا الشـرقية. وقام هذا المبلغ على الأساس الأتى:

« استقبلت إسرائيل خمسمـائة ألف يهودى تقريبًـا، وتكلفت إعادة دمج كل منهم نحـو ثـلاثــة آلاف دولار. ونظـرا لأن إسـرائيل هى التى أنقذت هـؤلاء الضحايـا من براثن النازيـة، وتكبدت شخصيًـا تكاليف مـالية بـاهظة ، فقـد رأت أنها فـي حِلّ من فرض هـذه الطلبات بـاسم الشعب اليهودى، رغم أن هـذا لا يقوم على أى أساس قـانونى، وذلك لأن الدولـة اليهودية لم يكن لهـا وجود عند قيام النظـام النازى» (ص ـ ٢٦٢).

« وفي ظل هذه الظروف ، توجه إليّ الوزير الإسرائيلي للخارجية في صيف عام ١٩٥١ ، بوصفي رئيس الوكالة اليهودية لفلسطين ، وطلب مني الدعوة إلى عقد مؤتمر للمنظمات اليهودية الكبرى في الولايات المتحدة وبلدان الكومنولث البريطاني وفرنسا ، لدعم المطالبات الإسرائيلية و إيجاد السبل لإقرارها . (ص ـ ٢٦٣) .

« وبقدر كبير من الشجاعة والمروءة ، وافق المستشار الاتحادى كأساس للمناقشة مبلغ مليار دولار. وبعد مناقشات طويلة ، انتهى هذا الجزء من المباحثات بموافقة الوفد الألماني الذى تعهد بأن يوصى حكومته بالمطالبة الإسرائيلية البالغة ثلاثة مليارات مارك (أى بنسبة تقل ٢٥٪ عما طلبناه) » (ص ـ ٢٧٢) .

« وعدت مرة ثانية إلى بون في ٣ يوليه وقدمت التنازل التالى : ١٠٪ من الخمسمائة ملايين ستخصص للضحايا من غير اليهود وستوزع بمعرفة الحكومة الألمانية نفسها » (ص ـ ٢٨٢) .

« . . . وكانت المعاهدات ستوقع فى ١٠ سبتمبر ١٩٥٢ في لوكسمبرج ، وسيمثل المستشار الألماني بلاده ، ووزير الخارجية موشى شاريت ، إسرائيل ، وأنا عن مؤتمر المطالبات » .

« . . . وكانت الدفعات الألمانية عاملا حاسما في الانطلاقة الاقتصادية لإسرائيل خلال تلك الأعوام . وكنت لا أدرى ماذا سيكون مصير إسرائيل في الأوقات الحرجة لاقتصادها ، لو أن حكومة ألمانيا لم تحترم تعهداتها .

فالسكك الحديدية، والتليفونات ومنشآت الموانى، ونظم الرى، وفروع بأكملها من الصناعة والزراعة، ما كانت ستصبح على ما هى عليه الآن بدون التعويضات الألمانية. وأخيرا، تلقى مئات الآلاف من الضحايا اليهود مبالغ محترمة في هذه السنوات الأخيرة بموجب قانون التعويضات. (ص ـ ٢٨٦).

« وفى صبيحة يوم وصولى إلى تل أبيب، قمت بزيارة رئيس الوزراء الإسرائيلى بن جوريون، الذى استقبلنى وقد ارتسمت على وجهه علامات الجدية: « لقد كان لى ولك حظ في أن نحيى معجزتين: إنشاء دولة إسرائيل، والتوقيع على الاتفاق مع ألمانيا. وكنت أنا المسئول عن المعجزة الأولى، وأنت عن المعجزة الثانية ». (ص ـ ٢٨٤).

[المصدر: ناحوم جولدمان، السيرة الذاتية، باريس، ١٩٦٩].

وفي كتاب آخر من كتبه، التناقض اليهودى، لا يحكى ناحوم جولدمان مفاوضاته مع ألمانيا فحسب، بل والكيفية التى ابتز بها تعويضات من النمسا ومن مستشارها راب. فقد قال للمستشار: يجب أن تدفعوا تعويضات لليهود » ويرد عليه المستشار: ـ ولكننا كنا أنفسنا ضحايا الألمان! » واستطرد جولدمان قائلاً: « في هذه الحالة سأستأجر كبرى دور العرض السينمائى في فينا، وسأعرض فيها كل يوم الفيلم الذى يصور دخول القوات الألمانية وهتلر فيينا في مارس ١٩٣٨».

وعنـدئذ قـال راب : « موافـق ستأخذون أمـوالكم ! » وكـانت هـذه الأمـوال في حـدود ۳۰ مليـون دولار. وفي وقت لاحق عـاد جولـدمـان وقال : « يجب دفع ۳۰ مليون أخرى ! » فقال راب : لقد اتفقنا على ۳۰ مليـون فقط ». فـرد عليه جـولـدمـان : الآن يجب أن تقدمـوا أكثـرا ! » وحصل عليها . ثم عاد مرة ثالثة وحصل على نفس المبلغ .

وكان هناك مصدران آخران لتمويل ما يطلق عليه البعض « المعجزة الإسرائيلية » على المستوى الاقتصادى وعلى صعيد التسليح أيضا (بما في ذلك التسلح النـووى)، مما سـاعد على استحـداث أسطورة داود الصغيـر الذى نجح في أن يقضـى على عدوه العمـلاق جـالوت بنبلـة صغيرة وهى كناية عن دولة إسـرائيل الصغيرة التى انتصرت على جيرانها العـرب مجتمعين. فبالإضـافـة إلى « التعـويضات »، تتمتع إسـرائيل بإمدادات لا حـدَّ لها تقريبا من الأسلحة والأمـوال التى تأتى أساسا من الـولايـات المتحدة حيث لعب اللـوبى دورا فعـالا في ذلك، وكـذلك المنح والهبات المقدمة من أبناء « الشتات ».

وقد كشف بنهاس سابير، وزير المالية في ذلك الوقت، أثناء مؤتمر المليارديـرات اليهود (كـذا) الذي عقـد في القـدس عام ١٩٦٧، أن دولة إسرائيل قـد تلقت في الفترة من ١٩٤٩ إلى ١٩٦٦ ، ٧ مليارات دولار.

[المصدر : « الايكونوميست الإسرائيلى »، سبتمر ١٩٦٧].

وكانت المنظمات اليهودية الأمريكية ترسل كل سنة وفي المتوسط،

مليار دولار إلى إسرائيل . (وكانت هذه المساهمات تعتبر « مساهمات خيرية » وتخصم من ضرائب المانح ، أى أنها تقع على عاتق دافعى الضرائب الأمريكيين !) ومع ذلك فمعظم المساهمات كانت تأتى من الدولة الأمريكية مباشرة ، والتى ارتفعت « معونتها » إلى أكثر من ثلاثة مليارات دولار سنويا)، نصفها تقريبًا يتحول إلى منح وهبات لا ترد .

وتتكون هذه المعونة السنوية من شحنات للأسلحة كانت تمول بطريقة خاصة بموجب قانون مراقبة تصدير الأسلحة لعام ١٩٧٦ ، تفاديا لانتقادات الجمهور.

ويكفى أن نذكر هنا أن معونة « مشروع مارشال » المقدمة إلى أوروبا الغربية فى الفترة من ١٩٤٨ إلى ١٩٥٤ ، قد وصلت إلى ١٣ مليار دولار، أى أن دولة إسرائيل بأقل من مليونين من السكان قد حصلت على أكثر من نصف ما تلقاه . مائتى مليون أوروبى .

والعنصر الآخر للمقارنة هو متوسط المعونة السنوية التى حصلت عليها البلدان النامية أثناء الفترة من ١٩٥١ إلى ١٩٥٩ ، والذى لم يتجاوز ٦٤ , ٣ مليار دولار، في الوقت الذى حصلت فيه إسرائيل بسكانها البالغ عددهم في ذلك الوقت ٧ , ١ نسمة ، على ٤٠٠ مليون .

وعلى سبيل المقارنة أيضا ، فإن المليارات السبعة التى حصلت

عليهـا إسرائيل في ثمـانيـة عشر عـامـا، كمنح، تمثل مـا يزيـد على مجموع الدخل القـومى السنوى للعمل في كل البلاد العـربية المجاورة (مصر وسوريا ولبنان والأردن)، الذي بلغ في ١٩٦٥، ستة مليارات.

وإذا أخذنـا في الاعتبار المسـاهمة الأمريكيـة وحدهـا، يلاحظ أن الولايات المتحدة قد منحت من ١٩٤٨ إلى ١٩٦٧، مساعدات بلغت في متوسطها ٤٣٥ دولارا لكل إسرائيلى، و ٣٦ دولارا لكل عربى !.

[المصدر: جورج قرم، «مالية إسرائيل»، ١٩٦٨].

وهنـاك مصـدر مالـى آخر مكـون من سنـدات دولـة إسـرائيل وهى صكوك بالدولارات وتباع في الخارج، ولكن سداد أصولها وفوائدها يتم بالعملة الإسرائيلية.

وهذه السنـدات التى بيعت منها نسبـة ٩٩,٨٪ في ١٩٥١، داخل أمريكا ثم ٨٠٪ في ١٩٧٨) وضعت تحت تصرف الاقتصاد الإسرائيلى ما يزيد على ٥ مليارات من الدولارات.

[المصدر: «سندات دولـة إسرائيل»، ١٩٧٢، ص-٢٠٥ ؛ ١٩٨٠، ص-١٥٣].

وبين المنح والسنـدات تلقت دولة إسـرائيل من عـام ١٩٤٨ وحتى عام ١٩٨٢، أحد عشر مليار ونصف من الدولارات.

وممـا يدل على تـواطؤ الحكم مع عـالم المال، حـدث في فرنسـا وحدها عام ١٩٨٢، ما يلى:

« تـولى جى دى روتشيلـد رئاسـة الصنـدوق الاجتمـاعى اليهـودى الموحد؟ وعين دافيد دي روتشيلد أمينا لصندوقه، والعضو الفرنسى في مجلس إدارة الوكالة اليهودية .

وكـان آلان دى روتشيلـد رئيسـا للمجلس التمثيلى للمـؤسسـات اليهودية في فرنسا والمجمع الإسرائيل المركزى .

وعين إيلى دى روتشيلد رئيسا للجنة التنفيدية .

وكـان إدمـونـد دى روتشيلـد رئيسًـا للمنظمـة الأوروبيـة لسنـدات إسرائيل .

وأخيرا كانت أليكس دى روتشيلد رئيسة عالمية لـ « عالية الشباب» .

ولكن كان الارتهـان بالحكـومة الأمـريكية أكبر بكثيـر وخاصـة منذ السبعينات .

فقد كـانت معونـة الحكومـة الأمريكيـة منذ ١٩٤٨ ، المقـدمة إلى إسرائيل قـد بلغت ١٨ مليار دولار، ولكن التعجيل بزيادتهـا قد يصيب المـرء بالـدوار: وهى بـوجـه عام أقل من ١٠٠ مليـون دولار حتى عـام ١٩٧٥ ، و٢ مليار حتى عام ١٩٨١ . وفى يناير ١٩٨٥ ، ، طالبت دولة إسرائيل مرة أخرى بمبلغ ١٢ مليار دولار لمدة ٨ سنوات .

أما بالنسبة للدين الخارجى ، فقد قفز من ٦ مليارات في ١٩٧٣ إلى ١٠ مليارات في ١٩٧٦ ، وإلى ١٧ مليار في أول يناير ١٩٨١ ، أى إلى رقم قياسى قدره ٤٣٥٠ دولارا لكل نسمة ! .

وزادت المعونة بفضل العقود من الباطن ، وخاصة في مجال الطيران. كما تتضمن المعونة الاقتصادية لتسهيلات ممنوحة للصادرات الإسرائيلية إلى الولايات المتحدة الأمريكية، التى تتمتع بتعريفات تفضيلية، وبذلك دخلت نسبة٩٦٪ من هذه الصادرات (بمبلغ مليار دولار) كلى الولايات المتحدة خالصة من جميع الضرائب.

وباختصار ، يكفى رقم واحد للدلالة على طابع دولة إسرائيل الصهيونية : فإن مجموع « المعونة » الرسمية الأمريكية التى تتلقاها إسرائيل وحدها ، يعادل ما يزيد على ١٠٠٠ دولار. للفرد، أى كبقشيش يضاف إلى دخله القومى، وهو يزيد ثلاث مرات على إجمالى الدخل القومى للفرد في مصر، وفي معظم البلدان الأفريقية.

وفي هذا الصدد يفصح الأستاذ يشاياهو ليبوفيتش، عن رأيه في الصهيونية اليهودية قائلا: « إن نظامنا عفن وفاسد من أساسه » وذلك لسببين اثنين هما :

١ ــ المصيبة كلها نشأت عن أن كل شىء قد ارتكز حول الوطن والدولة. فإذا كان الوطن والدولة هما الغاية في حد ذاتها، فاليهودية مرفوضة لأن دولة إسرائيل أهم.

« إن القومية هى تدمير لجوهر الإنسان » ودولة إسرائيل ليست بدولة تملك جيشا، ولكنها جيش يملك دولة ».

٢ ـ ارتهان هذه الدولة بالولايات المتحدة.

« والأمريكان لا يهمهم سوى فكرة الاحتفـاظ هنا بجيش من المرتزقة الأمـريكيين فى زى التساحل (الجيش الإسـرائيلى). وإن قوة اللكمـة اليهوديـة تأتى من القفاز الفـولاذى الأمريكى الذى يلفهـا ، والدولارات *التى تبطنها* » .

●●●

خاتمة

أ ـ الاستخدام الأمثل للأساطير كخطوة نحو رقى الإنسان

استحدثت جميع الشعوب قبل اكتشاف الكتابة، تقاليد شفهية ارتكزت أحيانا على أحداث حقيقية، ولكنها تقاليد يغلب عليها الطابع الشائع الذى يسعى إلى تبرير ـ وهو عادة ما كان تبريرا شاعريا ـ أصولها وتنظيمها الاجتماعى، وممارساتها الثقافية، ومصادر سلطات رؤسائها وتطلعات مجتمعها المحلى.

وهذه الأساطير الكبرى قد رسمت خطوط ملحمة الإنسان، وعبَّرت بفضل سردها لبطولات الآلهة أو الأجداد الأقدمين، عن اللحظات العظيمة فى مسيرة هذا الإنسان ووعيه بقدراته وواجباته ورسالته في التفوق على أوضاعه من خلال صور ملموسة تولدت عن تجربته وعن آماله؛ فهو دائما ما يصبو إلى شأن أسمى لمستقبله يتحقق فيه كل أحلامه في السعادة والخلاص.

واكتفاءً منا ببعض الأمثلة المأخوذة من مختلف قارات العالم، فإن « رامايانة » الهند هى أروع صورةِ للرجل والمرأة، شكلتها محن وانتصارات بطلها « راما » وزوجته « سيتا»، و إحساسهما بمشاعر العزة والوفاء بمقتضيات حياة لا تشوبها شائبة، بل واقترب اسم البطل «راما»

من اسم الإلـه « رام ». وقـوة هذه الأسطـورة التى تفـوق مجرد السـرد، وصلت إلى حـدٍّ جعلها مصـدرا استوحتـه الشعوب في حيـاتها لقـرون عـديدة، وذلك بتعظيمهـا لصورة الإنسـان وآفاق حيـاته. وقـد وضع « فالميكى » بعد ذلك النص الذى يجمع كتـابة أجمل التقاليد الشفهية؛ ثم أعـاد الشـاعـر « تـولسيداس » فـي القرن الخـامس عشـر ، كتـابـة الـرامايـانة، وفقـا لرؤيـة صـرفية أعمق، وفى قصيـدة لـم تستكمل عن الارتقـاء الإنسـانى. وإلى هـذا فإن آخـر كلمـة لفظ بها غـانـدى عند اغتياله، والتى بارك بها قاتله، هى « رام ».

ويصدق نفس الشـىء على المهابارا هـاتا، التى بلغت ذروتهـا في «بهـاجـا فادجيتـا »، حيث يطـرح الأمـيـر أُرجـونـا، وفي غمرة معـركـة كوروكشيترا، السؤال الأخير بشأن معنى الحياة ومعنى صراعاته.

وفى حضـارة أخـرى ، أى من مفهـوم آخر لعـلاقـات الإنسـان مع الطبيعة ومع غيره من النـاس ومع الرب، فإن الإلياذة، والتى تنسب كل مأثـوراتهـا الشفهيـة والشعبيـة إلى المـؤلف الـذى أعطـاهـا شكلهـا المكتوب، هوميروس، تعـرض أرقى وأعلى صورة يمكن رسمها للرجل من خلال شخصية هكتور مثلا ، وهو يسير إلى الموت المحتوم بخطى ثابتة في سبيل نجاة شعبه وسلامته.

وينطبق هذا أيضًا على « بروميثيوس » لاشيـل، الرمز الأزلى والخالد على عظمة معارك التحرير.

وهنـاك المـلاحم الأفـريقية الكبـرى « كسيـدارا» ، وكذلك ملحمـة

خروج قبائل الأزتيك، أو « جوته » الذى جعل من فوست أسطورة لكل نوايا القرن التاسع عشر الأوروبى وأطماعه، أو وستيوفيسكى الذى كتب في قصته « المغفل » رواية جديـدة عن حياة المسيح محطما كل أصنام الحياة الحـديثة، وهى شبيهـة بتلك الحياة الأخـرى للمسيح من خلال مغامـرات دون كشوت، الفارس النبى، الـذى اصطدم دون أن يضعف بكل المؤسسات التى شاهدت ميلاد سيطرة المال الجديدة.

وتلك بعض الأمثلة على « أسطـورة العصور » التى تدعو مـرة أخرى مع فيكتور هوجو إلى إيقاظ الإنسان.

وهي في مجموعهـا تمثل « التاريخ المقدس » الحقيقى للبشـرية، أى تاريخ عظمة الإنسـان، الذى يحاول تثبيت أقدامـه حتى من خلال محاولاته الفاشلة، كيما يتفوق على عاداته وقدراته.

وهـــذا التـاريـخ هـو التـاريخ الـــذي كتبـه المنتصـرون وســادة الإمبراطـوريات وقادة الجيـوش. وهو تاريخ لا يتحـرج في أن يستخدم الأساطير لمصلحته عند الاقتضاء، وربطها بعجلة انتصاراته.

●●●

ب ـ الأسطورة المتنكرة في ثياب التاريخ واستخدامها السياسى :

إن قراءة هذا الكتاب « الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية» ينبغى ألا تثير لبسا أو غموضا ، لا من الناحية الدينية ولا من الناحية السياسية .

فنقد التفسير الصهيونى للتوراة و « الأسفار التاريخية » (وخاصة سفر يشوع وسفر صموئيل ، وسفر الملوك) ، لا يمس بأى حال من الأحوال التوراة وما جاء فيها من معتقدات دينية . فتضحية سيدنا إبراهيم هى المثال الخالد على تفوق الإنسان على أخلاقياته العابرة وعلى منطقه الضعيف باسم القيم المطلقة التى تماثلها وتضارعها . كما أن «الخروج » سيظل هو الرمز على التخلص من كل أنواع العبودية ، وعلى نداء الرب الذى لا يقاوم نحو الحرية .

ولكن ما نرفضه فهو القراءة الصهيونية القبلية والقومية لهذه النصوص ، باختزالها الفكرة الهائلة لعهد الله مع الإنسان ، ومع كل الناس ، ووجوده في داخلنا جميعا ، لاستنتاج أشر فكرة في تاريخ الإنسانية ألا وهى فكرة « الشعب المختار » الذى اختاره رب متحيز وجزئى (ومن ثَم صينم) ، وذلك للتبرير المسبق لجميع أنواع السيطرة والاستعمار والمذابح . كما لو كان تاريخ العبرانيين أو التاريخ المقدس هو التاريخ الوحيد في العالم .

ولم يدر بخلدنـا أبدا وبما عرضناه في هـذا الكتاب الذى وثَّقت كل حلقـة من حلقاتـه بمصـادرها، فكـرة تدميـر دولـة إسرائيل، بل أردنـا وببساطـة أن نبطل عنها صفة القداسـة، فهى أو أى أرض أخرى ليست أبدا موعودة بـدلا مغتصبة، كأرض فرنسا وألمانيـا والولايات المتحدة، طبقا لعلاقات القوة التاريخية في كل قرن.

ولا يتعلق الأمر بإعادة التاريخ وإلى مـا لا نهاية بطلقات المدافع، ولكن المطالبة بتطبيق قانون دولى لا يخلِّد علاقات الغاب.

وفي الحالة الخاصة بالشـرق الأوسط، فالمطلوب هو تطبيق قرارات التقسيم التى اتخـذتهـا الأمـم المتحـدة غـداة الحـرب الأخيـرة والقـرار ٢٤٢، وهى القرارات التى تستنكـر وتمنع التوغل داخل حـدود البلدان المجاورة والاستيلاء على مياهها؛ والتى تنص على ضرورة الجلاء عن الأراضى المحتلة ولا شك أن الاستمـرار فى إقامة المستـوطنات داخل المناطق المحتلة بطريقة غير شرعية، هو احتلال يجعل من المستحيل إحـلال سـلام حقيقى وتعـايش سلمى ودائم للشعبين المتسـاويين والمستقلين، وهو السلام الذى يرمـز إلى الاحترام المتبادل، دون ادعاء بملكية القدس، أرض اللقاء بين الديانات الثلاث.

●●●

وكذلـك فإن نقد أسطـورة الهولوكـوست ليست بـالعملية الحسـابية الجنائزية لعدد الضحايا، ولكن الاستغلال السياسى من طرف دولة لـم

يكن لهـا وجود عنـدما اقترفـت الجرائم، والمبالغـة في الأرقـام بصورة تعسفيـة لمحاولـة إثبات أن معـانـاة البعض لا وجه لتشبيههـا بمعانـاة الآخـريـن وإضفـاء القـداســة عليهـا (وبـالعبـارة الـدينيــة نفسهـا الهولوكوست)، وهى محاولة لصرف النظر عن مذابح أشد قسوة.

وكان أكبر المستفيدين من هذا هم الصهاينة، الذين أظهروا أنفسهم بمثـابة الضحـايا دون سـواهم، وأنشأوا على إثـر ذلك دولة إسـرائيل، ووضعوها فوق كل قانون دولى.

ولا يتعلق الأمر كذلك بـالتشكيك في النوايا الطيبة لمـلايين الشرفاء الذين اعتقـدوا في هذه الأسـاطير الكـاذبة التى روَّجت لهـا كل وسائل الإعلام.

ولذا فإن هذا الكتـاب يهدف إلى إتاحة العنـاصر للجميع لكى تتاح لهم فرصة الحُكم على شرور الأساطير الصهيونية التى تساندها دون قيد أو شـرط، الولايـات المتحـدة، والتى تـولد عنهـا حتى الآن (خمسـة) حروب، كما أنها تشكل بما تمارسه من تأثير ونفوذ بواسطة اللوبى على إحدى القوى الكبرى وهى أمريكا، ومن ثم على الرأي العام العالمى، تهديدًا مستمرا ودائما لوحدة العالـم وسلامه.

●●●

جـ ـ المزيّفون والتاريخ الانتقادى :

لقد وضعنا نصب أعيننا عندما أعطينا لكل معلومة وردت في هذا الكتاب مصدرها والقرينة الدالة على ما نقوله ، أن نبتعد بشكل جذرى عن كل أنواع التزوير التى ترمى إلى الحطِّ من قدر أية ديانة أو طائفة ، أو إلى الدعوة إلى الحقد عليها أو اضطهادها . وخير مثال على هذا الترييف هو ما جاء في « بروتوكولات حكماء صهيون » وهو العمل الذى نددت به في كتابى : « فلسطين ، أرض الرسالات الإلهية »، واستنكرت فيه الطرق البوليسية التى تمت بها فبركة هذه البروتوكولات ، والتى استخدمت للأسف الشديد على نطاقٍ واسع « ولا سيما في بعض البلدان العربية ، وهو ما شجبته في حينه . فهذه الرواية البوليسية الخسيسة قد أعطت الفرصة للصهاينة وللإسرائيليين لكى ينددوا ويشجبوا أى نقد لسياستهم في الشرق الأوسط . ولذلك ورغم الإثقال على القارئ الذى يتعجل الوصول إلى الاستنتاجات دون المرور بالأدلة والبراهين مما قد يدعو إلى الضجر والسأم في بعض الأحيان ، فإننا لم نقدم أى أُطروحة هنا إلا وهى معززة بالمصادر.

●●●

والعرض التاريخى الذى قدمناه في هذا الكتاب مازال عرضا مؤقتا . وهو ككل تاريخ انتقادى وككل علم من العلوم ، قابل للمراجعة والتنقيح طبقا لاكتشاف عناصر جديدة . فهناك أطنان من المحفوظات الألمانية التى تم الاستيلاء عليها ونقلت إلى الولايات المتحدة ، ولم

يتم جردها بعدُ بالكامل. وهناك محفوظات أخرى في روسيا بدأت تفتح أبوابها بعد أن كانت محرمة على الباحثين.

ومن ثَمَّ فما زال هناك عمل ضخم ينبغى القيام به شريطة عدم الخلط بين الأسطورة والتاريخ، أو الادعاء بالوصول إلى النتائج قبل البحث كما حاول نوع من الإرهاب الفكرى أن يفرضه حتى الآن فقد اتضح أن عملية « إضفاء القداسة » على نصوص نورمبرج، كانت هشة جدا.

والتاريخ مثله في ذلك مثل العلوم، لا يمكن أن ينطلق من بداهات مسبقة لا يجوز المساس بها.

فقد أصدرت محكمة نورمبرج أرقاما اتضح أن معظمها أرقام خاطئة، تمت مراجعة معظمها واستبعدتها معظم الدوائر العلمية، وحتى وإن ظلت موضعا للدعاية الإعلامية حيال الرأى العام والطلبة. وتنقيح هذه الأرقام ومراجعتها ليس القصد منه فحصها حسابيا، ولكن لإظهار الرغبة المتعمدة في تخليد أكذوبة أفضت بالإكراه إلى تزييف التاريخ بصورة منتظمة وتعسفية.

فالأمر لم يقتصر على إغفال موت ١٧ مليون من المواطنين السوفييت، و٩ ملايين من الألمان، بل تجاوز ذلك إلى حد إضفاء الطابع المقدَّس على هذه المعاناة الحقيقية (تحت اسم الهولوكوست)، مع إنكار إضفائه على الآخرين.

وقد تطلب الأمر لبلوغ هذا الهدف ، انتهاك كل القواعد الأولية للعدالة وإحقاق الحق، فضلا عن رفض كل مناقشة علمية وعلنية، والاقتصار على الاضطهاد وتكميم الأفواه، وهو ما كان مجلبة للشك والارتياب. ولا شك أنه لا توجد إدانة فعالة ضد النازية أكثر من توضيح الحقيقة التاريخية وإقامة البراهين على صحتها.

وهذا هو ما أردنا الإسهام به عند نشرنا لهذا الملف.

●●●

تعقيب

جارودى دون كيشوت
نهاية القرن العشرين

بقلم : حمدان جعفـر

يذكر المفكر الفرنسى روجيه جارودى (١٩١٣م) عام ١٩٦٦ فى كتابه (ماركسية القرن العشرين) أن الأساطير نوعان: أساطير مغلقة وأخرى مفتوحة، وهذه الأخيرة وحدها هى الأساطير الحقيقية. . فهل كان جارودى يتنبأ بأنه سوف يأتى يوم يتناول فيه أشد الأساطير انغلاقا وهى المتعلقة بأسطورة الصهيونية وأسطورة إنشاء دولة إسرائيل وأسطورة تعرض اليهود للاضطهاد من قبل ألمانيا النازية؟ وهل كان يتنبأ أن تجنى عليه الأسطورة الإسرائيلية المغلقة وهو يتناول هذا الموضوع الشائك فى كتابه الحالي «الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية»؟ .

يعرّف جارودى الأسطورة بمعناها الحقيقى بأنها دعوة لكى نتجاوز حدودنا. ويبدو أنه عندما تناول أشد الأساطير انغلاقا بالنسبة للزعم القائل إن ألمانيا فى عهد هتلر قد أبادت وأحرقت ستة ملايين يهودى قد فتح عليه نار الجحيم. **ففى فرنسا وعاصمتها باريس مدينة النور يوجد قانون يعرف باسم قانون (جيسو) صادر عام ١٩٩٠ وهو يقضى بالسجن على كل من يتشكك فى رقم الستة ملايين يهودى الذين يقال إن هتلر وأعوانه قد أبادهم .**

لقد اتهمه اللوبى اليهودى فى فرنسا بأنه معاد للسامية وتطرفوا فى هذا الصدد حتى أنه لم يتمكن من طبع كتابه إلا على نفقته الخاصة وهو الذى كانت كبريات دور النشر الفرنسية تتسابق على نشر مؤلفاته. وجارودى فى كتابه الحالى يعد التطرف المرض الفتاك للإنسانية فى نهاية القرن العشرين .

والنقطة الشائكة فى كتابه هى تشكيكه فى أن هتلر أباد بالفعل ستة ملايين يهودى واللوبى الصهيونى يرفض التشكيك فى هذا حتى يضمن للصهيونية أن تدعو لإنشاء دولة إسرائيل وتحل الأسطورة السياسية العرْقية محل الأسطورة الدينية. وهو يرسم مقارنة بين تضخيم اليهود لرقم إبادتهم فى الحرب العالمية الثانية وبين الإبادات الفعلية لغيرهم من الأجناس ويقول إذا كان الصهاينة بتضخيم الرقم يصفون هذه الإبادة بأنها أكبر عملية إبادة جماعية فقد نسى هؤلاء أن هناك ستين مليون هندى أمريكى تعرضوا للإبادة وأكثر من مائة مليون من السود الأفارقة تعرضوا للقتل من جرَّاء تجارة الرق، كما أن هناك ١٧ مليون من السلاف قتلوا فى الحرب العالمية الثانية. وأوضح جارودى هدفه من كتابه بأنه يريد فضح هذه الخدعة الأيديولوجية التى تم تخليقها للتمويه وأن اللوبى الصهيونى هو الذى صنع هذه الأسطورة المزيفة خاصة أن معسكرات الاعتقال النازية كانت تضم بجانب اليهود البولنديين والسوفييت وأن الوفيات التى حدثت فمن جراء سوء التغذية.

ويقول جارودى: إنه لا توجد وثائق يقينية بأنه تمت إبادة ستة ملايين يهودى فى معسكرات الإبادة والاعتقال أيام حكم النازيين فى ألمانيا.

والمؤلف يسأل الصهاينة فى كتابه هل تعلَّمت إسرائيل من المحارق النازية ما كان يجب أن تتعلمه؟ ويرد جارودى بقوله: «**إن إسرائيل لم تتعلم إلا شهوة الانتقام وإعادة إنتاج الآلام وحرق بيوت الأطفال والشيوخ فى البلاد العربية**».

ويتساءل المؤلف: من أين جاء رقم الستة ملايين يهودى الذين يقال إنه قد تم حرقهم؟ ويجيب بتساؤل آخر: كيف يمكن أن نؤكد أن الذين رمى بهم هتلر فى الأفران هم يهود فقط؟ أو هم من جميع الشعوب؟ بل هل يوجد أحد يستطيع أن يؤكد أن الذين ألقى بهم هتلر فى المحرقة كانوا أحياء أو موتى ؟

ويفضح جارودى هذه الأسطورة العنصرية التى يروج لها الصهاينة لتبرير إقامة وطن لليهود فى فلسطين على حساب ألوف. وهو يستند إلى شهادات أشخاص لا يمكن الشك فيهم. فالمخرج سبيلبرج الذى أنتج فيلم (قائمة شيندلر) عن المحارق ضد اليهود أعلنت زوجته إميلى أن زوجها لم يكن بطلا قد ساعد عددًا من اليهود للفرار من معسكرات الإبادة وقالت إن زوجها كان يتاجر باليهود مقابل وعدهم بالتهريب من ألمانيا وكان يتركهم جوعى يعانون من البرد فى المرافئ. وبهذا كان زوجها تاجر شنطة يستفيد من هذه التجارة الآدمية.

بل لقد أبرز جارودى التواطؤ بين اليهود والنازية. ويستند جارودى إلى ماكتبه توم سيجيف فى كتابه (المليون السابع) عندما قال: «**لم يكن إنقاذ حياة يهود أوروبا على رأس أولويات طبقة زعماء الحركة الصهيونية فالأهمية الكبرى كانت العمل على تأسيس دولة**» ويوضح جارودى كيف التقى هذا الهدف العنصرى مع الفكر العنصرى النازى الذى يقوم على أساس نقاء الدم. وكان الهدف هو النقل الجماعى لليهود إلى فلسطين لإنشاء دولة إسرائيل .

ويوضح جارودى كيف تتم عملية التزييف للوثائق فقد استندت محكمة نورمبرج التى أنشئت لمحاكمة مجرمى الحرب من النازيين على شهادة على شكل تقرير كتبته فتاة يهودية كانت من ضمن المعتقلات فى المعسكرات الألمانية وأصدرت كتابا بعنوان (يوميات آن فرانك) وتحدثت فيه عن غرف الغاز لحرق اليهود. ويقول جارودى: **إن مخطوطة الكتاب قد كتبت بقلم جاف وهو قلم لم يكن معروفا قبل عام ١٩٥١ فى حين أن هذه الفتاة آن فرانك قد ماتت عام ١٩٤٥ .**

ويشكك جارودى فى معنى تعبير (الحل النهائى) لليهود فى ألمانيا فالمؤرخون المغرِّضون فسروا التعبير على أن المقصود به إبادة اليهود وحرقهم فالحل النهائى قد يعنى ترحيل اليهود لا حرق اليهود. ويؤكد جارودى أنه لم يجد أبدا تعبير الحل النهائى للمسألة اليهودية فى أى مستند رسمى وقعه هتلر. وأضاف موضحًا أن هذا التعبير هو اختراع جديد أضيف وألصق بالنازية لتبرير النزعة الصهيوينة الداعية لإنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين .

هذا هو جارودى: إنه دون كيشوت جديد فى القرن العشرين يحارب طواحين الهواء والأشباح والخرافات والأساطير العنصرية الضيقة الأفق لكى تتأسس دولة إسرائيل على حساب الحق العربى فهذه الأسطورة تستند إلى قول قديم: إن الله قد وعد اليهود بالأرض الموعودة ويسخر جارودى من هذه الدعوة التى تصور الله وكأنه قد منحهم عقدا موقعا بالملكية .

ومن هنـا جاءت الحملة مـن اللوبى الصهيـونى ضد جـارودى لأنه تجرأ أو مد يده فى عش الزنـابير. وقد تعرض للهجوم مع جارودى الأب بيار وهو من كبار رجالات الدين المسيحى الذى كل جريمته أنه طالب بمناقشة المؤرخين .

فماذا يفعل جارودى إزاء هذه الحملة الشعـواء ضده حتى فى مدينة النور باريس؟ إنه لم يملك إلا الصمت فهو يدرك أن الصهيونية تستريح للأكذوبة التى روجتها عن المحارق النازية حتى تروج لبضاعتها بإنشاء دولـة إسرائيل وهى دولـة يقول عنهـا جـارودى إنها بعـد أكثر من مـرور خمسة وأربعين عاما لاتزال دولة بلا دستـور بلا حدود ثابتة وبلا تسمية محـددة وهى تتأرجح فى تسميـة نفسهـا مـا بين دولـة إسـرائيل وكيـان إسرائيل ودولة المعاد .

فهل الحملـة على جـارودى بهـذه الضـراوة لأنـه فضح الأسـاطيـر العنصرية الإسرائيلية فقط ؟

أم ينضـاف إلى هذا أنـه مفكر أشهـر إسـلامه وجـاء فضحه للـوبى العنصرى دعـامة للعرب؟ لقـد جمع جارودى بين منظـورين : المنظور الإسلامى الذى ينادى بالحق وبـالحقيقة والمنظور العلمى الذى ينادى بصدق ويقينيـة الوثـائق التاريخيـة حتى لا نحيا وسط أساطيـر هى من عمل صناع الأساطير السياسية بهدف عنصرى .

وجـارودى الذى بـدأ رحلتـه الفكـرية فى صفـوف المـاركسيين فى سنوات ١٩٥٠ و ١٩٦٠ وكان مُنَظِّرًا كبيرا للفكر الماركسى الفرنسى قد

اهتدى إلى الإسلام وتسمى باسم رجاء جارودى ومن أشهر مؤلفاته :

(النظرية المادية للمعرفة)؛ (فكر هيجل)؛ (أزمة فى الشيوعية : نقطة تحول الاشتراكية)؛ (منظورات الإنسان)؛ (ماركسية القرن العشرين)؛ (حوار الحضارات)؛ (واقعية بلا ضفاف)؛ (حفارو القبور)؛ (الأصوليات)؛ (مشروع الأمل)؛ (أسئلة موجهة إلى سارتر) .

تنبيــه ...

تحـاشيا لـلإثقال علـى القاريْ العـربى الكريـم ، فقد تـوخينا عنـد التـرجمـة إيجاز بعض التفـاصيل التى اقتطفهـا المـؤلف من الصحف الأجنبية ، وهى تفـاصيل تهم القاريْ الغـربي في المقام الأول ، ولا تخل بسياق الكلام .

قسم الترجمــة

دار الغــد العربى

المحتويات

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق القومية
٥٩٥٧ / ١٩٩٦

الترقيم الدولى
I.S.B.N.
977 - 5066 - 32 - 8

طبع بمطابع

دار الغد العربى
٣ ش ـ دانش ـ العباسية
ت: ٢٨٥٦١٢٢ ـ ٢٩٧٢٨٧٠ ـ القاهرة



جارودى... وديموقراطية الغرب

في الوقت الذى تنفق فيه بـريطانيا ملايين الجنيهات الإسترلينية لحراسة « سلمان رشدى » صاحب كتاب آيات شيطانية والـذى أفتى الخومينى بإباحة دمـه لتهجمه على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى الإسلام !!

وفى الوقت نفسـه وبدون أية مناسبـة خصصت مجلة الإكسبـريس الفـرنسيـة في عـدد ١٦ مـايـو ١٩٩٦ ست صفحـات لتحقيق نشر فيـه أن السيد المسيح . ليس لـه معجزات ولم يـولـد في العـام الميـلادى الأول، وأنـه فقط كان فـلاحًا ثـوريا ضد السلطـة الرومـانية !! .

يحدث هذا في الوقت الذى لم يجـد فيه الفيلسوف الكبير رجاء جارودى أى ناشر فرنسى ينشر له كتابه هـذا، فينشره على نفقتـه الخاصـة . وفور صـدور الكتاب قـامت الدنيـا ولم تقعد على جـارودى لأنه قـال الحقيقة، حقيقة أن كل ما تدعيه الصهيونية العالمية هـو زيف وبهتان، وما هو إلا أساطير خرافية ما أنزل الله بها مـن سلطان، ووقف جارودى ــ الفيلسوف . . والمفكـر. والعالم أمـام هذه العـاصفة الهـوجاء كـالطود الشامخ تتكسر عليه الزوابع والعواصف لا تأخذ منه مأخذًا.

وفي باريس . . عاصمة العلم والنـور والحرية !! كما يزعمون ينتظر جـارودى الحكم بالسجن لمدة عام لأنه مس قـدس الأقداس وكشف عن زيف دعـوى الصهاينة . . ومثل سقـراط، فإن جارودى يواجـه مصيره برباطة جأش نادرة . . ذلك أنه يكفيه أنه قال الحقيقة . . وليكن ما يكون.

ونحن إذ نقدم ترجمة أمينـة لهذا الكتاب إلى قراء العربية، فإننا نشعر أن هـذا وا... ...نا العظيم وأمتنـا العربيـة الخـالدة . . ليعـرف القارىء حقيقـة الأسـاطير الخـرافية التـ... ...ة الإسرائيلية .

إنه كتاب كل عربى يعيش من المحيط إلى الخليج . . يعرى حقيقة الدولة الصهـ... ...ة ويجعلنا نعيد التفكير مرة أخرى . . . هل عملية التطبيع مع الصهيونية . . تؤدى في ... أم أنها إحدى خدع اليهود الماكرة ؟ !!

« حمدان جعفر »

الثمن ٤ ج...